

الوصية الصغرى

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمته الله

٦٦١ - ٧٢٨ هـ

محققه ومترجمه أحاديثه وعلومه عليه

صبري بن سلامة شاهين



دار الكتاب والسنة



مكتبة دار الحميضي

الطبعة الأولى
١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م

حقوق الطبع محفوظة

كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَوْلِي وَمَا صَحَّحْتُ بِهِ الْأَثَارَ دِينِي
فَدَعُ مَا صَدَّ عَنْ هَازِي وَخُذْهَا تَكُنْ مِنْهَا عَلَى عَيْنِ الْيَقِينِ
["نفع الطب" (١٢٧/٢) لِلتَّقْرِئ]

رمز الحاسب : RR16-95/003618001

المؤلف : الوصية الصغرى .

المؤلف : ابن تيمية - شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم .

المحقق : شاهين - صبري بن سلامة .

الناشر : دار الكتاب والسنة - باكستان .

مكتبة دار الحميضي - الرياض .

مكتبة دار الحميضي

ص.ب ٦٣٥١٩ الرياض ١١٥٢٦

المملكة العربية السعودية

هاتف ٤٢٥٠٦٢٥ - ٤٢٥٠٩٥٢

دار الكتاب والسنة

P.O.BOX: 11106

Karachi-75300 Pakistan

اسلام آباد - برمنجهام - نيو يورك

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ المقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . - ﷺ -

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ . [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ . [النساء : ١] .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ . [الأحزاب : ٧٠ - ٧١] .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله تعالى ، وخير الهدي هدي محمد

- عليه السلام - وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

يقول الله - تعالى - في محكم التنزيل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ * كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾. [الصف: ٢، ٣].

ينبغي على المسلم ألا يغيب عن ذهنه هذا التوجيه الرباني وألا يوصف بهذا الذم وبهذا المقت ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ . .﴾ بل يجعل أعماله شاهدة على صدق أقواله. وهكذا كان الصالحون من سلف هذه الأمة - رحمهم الله تعالى - فقد قال الحسن البصري - رحمه الله تعالى -: «إن من كان قبلكم رأوه [أي القرآن] رسائل من ربهم. فكانوا يتدبرونها بالليل وينفذونها بالنهار» وينسب هذا القول أيضاً إلى الحسن بن عليٍّ - رضي الله عنهما^(١).

وقال قتادة في قول الله - عز وجل -: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾. [المؤمنون: ٣٠]. أتاهم والله من أمر الله ماوقدهم عن الباطل^(٢). أي صرفهم وأبعدهم عنه.

وقال الحسن البصري: إن هذا القرآن قد قرأه عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله. . . وماتدبر آياته إلا باتباعه، وما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده. . . حتى إن أحدهم ليقول: لقد قرأت القرآن كله

(١) إحياء علوم الدين ١/ ٥٠٠ والتبيان في آداب حملة القرآن ص ٢٨.

(٢) الزهد لابن المبارك ص ٢٧٦.

فما أسقطت منه حرفاً. وقد والله أسقطه كله، ما يرى القرآن له في خلق ولا عمل^(١).

وقال مجاهد رحمه الله في قوله تعالى: ﴿يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ﴾. [البقرة: ١٢١]. يعملون به حق العمل^(٢).

قال الخطيب البغدادي - رحمه الله -: [ثم إني موصيك يا طالب العلم بإخلاص النية في طلبه وإجهاد النفس على العمل بموجبه. فإن العلم شجرة، والعمل ثمرة، وليس يعد عالماً من لم يكن بعلمه عاملاً... فلا تأنس بالعمل مادمت مستوحشاً من العلم، ولا تأنس بالعلم ماكنت مقصراً في العمل ولكن اجمع بينهما وإن قل نصيبك منهما... والقليل من هذا مع القليل من هذا أنجى في العاقبة، إذا تفضل الله بالرحمة، وتم على عبده النعمة... والعلم يراد للعمل، كما العمل يراد للنجاة، فإذا كان العمل قاصراً عن العلم. كان العلم كلاً على العالم، ونعوذ بالله من علم عاد كلاً وأورث ذلاً، وصار في رقبة صاحبه غلاً... وكما لا تنفع الأموال إلا بإنفاقها كذلك لا تنفع العلوم إلا لمن عمل بها وراعى واجباتها فلينظر امرؤ لنفسه وليغتتم وقته. فإن الثواء قليل، والرحيل قريب، والطريق مخوف، والاغترار غالب، والخطر عظيم، والناقد بصير والله تعالى بالمرصاد، وإليه المرجع والمعاد ﴿فمن يعمل مثقال ذرة

(١) الزهد ص ٢٧٤.

(٢) الزهد ص ٢٧٣.

خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴿ [الزلزلة: ٧-٨] ^(١).
 وصدق رسول الله - ﷺ - القائل: «مثل العالم الذي يعلم الناس
 الخير وينسى نفسه كمثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه» ^(٢).
 وقال الحسن البصري: «ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني،
 ولكن ما وقر في القلوب وصدقته الأعمال. من قال حسناً وعمل غير
 صالح رده الله على قوله. ومن قال حسناً وعمل صالحاً رفعه العمل
 وذلك بأن الله تعالى يقول: ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل
 الصالح يرفعه﴾ [فاطر: ١٠].

لقد كثرت الخطب وتنوعت المواعظ وتعددت الدروس في
 الترغيب والترهيب وفي الصدق والوفاء وحفظ العهود وأداء الأمانات
 وفي الحث على التحلي بمكارم الأخلاق فيسمع الناس ذلك
 فيمصصون الشفاء وتشخص الأبصار وتشرب الأعناق ثم بعد
 ذلك لم يتحرك منهم ساكناً ولم يغير منهم خلقاً.

وقد ألف المؤلفون الكتب والرسائل وكتبوا عن زهد الزاهدين
 وورع الصالحين وإخبات المؤمنين ومنهم من صنف في نكبات
 المستضعفين وذبائح المسلمين وكيف تنتهك الأعراض. أعراض

(١) اقتضاء العلم بالعمل ص ١٥٨ - ١٥٩ باختصار.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير ٨٤/١ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم

المسلمات لا غير في وحشية مجرمة آثمة ومنهم من رسم بحور الدماء
ولهيب النار يشوي الوجوه، وتناثر الأشلاء فاشترى المسلمون
الكتب وعلموا بما يحدث لإخوانهم المسلمين في كل مكان ولكن لا
حياة لمن تنادي قد تسقط دمعة أو تتحشرج في الصدر حرقاً أو يخرج
من أموال الأثرياء درهم أو دينار ولكن لم يتغير شيء أو يحدث شيء
أو عادت الأمة إلى مجدها التليد وعزها العريض .

[أرسل سعد قبل القادسية ربيعي بن عامر إلى رستم - قائد
الجيوش الفارسية وأميرهم - فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق
المذهبة والزراي، وأظهروا اليواقيت واللالي الثمينة والزينة
العظيمة، وعليه تاجه وغير ذلك من الأمتعة الثمينة وقد جلس على
سرير من ذهب . ودخل ربيعي بثياب صفيقة، وسيف وترس،
وفرس قصيرة، ولم يزل راكبها حتى داس بها على طرف البساط، ثم
نزل وربطها ببعض تلك الوسائد، وأقبل وعليه سلاحه ودرعه،
وبيضته على رأسه فقالوا له : ضع سلاحك . فقال : إني لم آتكم وإنما
جئتكم حين دعوتوني، فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت . فقال
رستم : ائذنوا له . فأقبل يتوكأ على رمح فوق النمارق . فخرق
عامتها، فقالوا له : ماجاء بكم؟ فقال : الله ابتعثنا لنخرج من شاء
من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن
جور الأديان إلى عدل الإسلام، فأرسلنا بدينه، إلى خلقه
لندعوهم، فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه، ومن أبى قاتلناه

أبداً، حتى نفضي إلى موعود الله . قالوا: وماموعد الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقي [١] ا. هـ.

هكذا كان الأجداد العظماء أما الأحفاد اليوم وما أدراك ما الأحفاد في ذلة وانكسار تحت أقدام الأعداء يقدمون فروض الطاعة ويسبحون بحمدهم ليل ونهار، قدوتهم نجوم الكرة، وأسوتهم مشاهير الرقص والغناء [إن آباءكم - أيها السادة المسلمون - قد انتشروا في عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبرى، يقولون: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح والصليب والأخبار والرهبان والملوك. وخلصوا الأمة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني. والأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض، والأمة الهندية من عبادة البقر. وأخرجوها إلى عبادة الله وحده. وأخرجوها فعلاً من ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام والعالم ينتظر منذ زمان رسل المسلمين ينتشرون في عواصم الجاهلية الثانية، يهتفون: الله ابتعثنا لنخرج العباد من عبادة المادة والبطن إلى عبادة الله وحده ومن ضيق عالم التنافس والأثرة والجشع المادي إلى سعة عالم القناعة والايثار والزهد ونعيم الروح وطمأنينة القلب. ومن

(١) البداية والنهاية لابن كثير.

جور النظم السياسية والاجتماعية إلى عدل الإسلام^(١) ا. هـ.
ولن تتم هذه النقلة ولن تتحقق هذه الأمنية حتى نحقق وصية
الله لنا حيث قال سبحانه: ﴿ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من
قبلكم وإياكم أن اتقوا الله﴾. [النساء: ١٣١]. وقال سبحانه:
﴿وقولوا للناس حسنا واقموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾. [البقرة: ٨٣].
وقال سبحانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة﴾. [المؤمنون: ٩٦].
ويقول رسول الله - ﷺ -: «اتق الله حيثما كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

لذا رأينا إخراج هذه الوصية الجامعة النافعة من مجموع فتاوى
شيخ الإسلام ليكثر تداولها بين المسلمين ويعم نفعها إن كثيراً من
القراء قد لا تصل إليهم هذه الرسالة وهي ضمن المجلد العاشر من
مجموع الفتاوى.

وهذه الوصية قائمة على ركنين أساسيين ألا وهما: تقوى الله
وحسن الخلق.

أما تقوى الله - عز وجل - فأهم صفات يتحلّى بها المتقون جعلني
الله وإياكم منهم.

١ - الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة والصدقة. كما قال تعالى:
﴿الْم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ

(١) إلى الإسلام من جديد ص ١٩ أبو الحسن الندوي.

يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة وما رزقناهم ينفقون ﴿١﴾.

[البقرة: ١ - ٣].

٢ - إن من صفاتهم أنهم يعفون ويصفحون كما قال تعالى: ﴿وأن

تعفوا أقرب للتقوى﴾. [البقرة: ٢٣٧].

٣ - ومن صفاتهم أن لا يتجرءون على الكبائر ولا يصرون على

الصغائر بل إذا صدر منهم شيء تابوا وأنبأوا وندموا واتبعوا

السيئة الحسنة تمحها كما قال تعالى: ﴿إن الذين اتقوا إذا

مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾.

[الأعراف: ٢٠١].

٤ - إنهم أصدق الناس في أقوالهم وأعمالهم كما قال تعالى: ﴿والذي

جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾. [الزمر: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾.

[البقرة: ١٧٧].

٥ - وهم أكثر الناس تعظيماً لشعائر الله كما قال تعالى: ﴿ذلك ومن

يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب﴾. [الحج: ٣٣].

٦ - وهم أولى الناس بالعدل على أنفسهم وعلى غيرهم كما بين الله

تعالى بقوله: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على أن لا تعدلوا

اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون﴾.

٧ - وأهل التقوى يتركون مالا بأس به خوفاً مما به بأس كما بين

رسول الله - ﷺ - بقوله: «لا يبلغ العبد أن يكون من المتقين

حتى يدع ما لا بأس به حذراً مما به بأس» .
وبقوله - ﷺ -: «لا يبلغ العبد حقيقة التقوى حتى يدع
ما حاك في الصدر»

أما حسن الخلق وسلامة الصدر فهذا مالا يدركه إلا الأفذاذ من
الرجال رزقني الله وإياكم الأخلاق الفاضلة ولين الجانب وسلامة
الصدر فقد قال رسول الله - ﷺ -: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه
درجة قائم الليل وصائم النهار»^(١).

وقال - ﷺ -: «إن أحبكم إلي وأقربكم مني في الآخرة أحاسنكم
أخلاقاً...»^(٢).

وقال - ﷺ -: «إن أثقل ما يوضع في ميزان المؤمن يوم القيامة
خلق حسن وإن الله يبغيض الفاحش البذيء»^(٣).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ، أن معاذ بن جبل أراد سفراً
فقال : يا نبي الله أوصني ، قال : «اعبد الله ولا تشرك به شيئاً» قال :

(١) أخرجه أبوداود «في كتاب الأدب / باب في حسن الخلق رقم (٤٧٩٨) وابن
حبان رقم (١٩٢٧) موارد وأحمد ٦٤/٦ والحاكم ٦٠/١ وصححه ووافقه
الذهبي .

(٢) أخرجه أحمد ٤/١٩٣، ١٩٤ وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٤/٨ رواه
أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح .

(٣) أخرجه أحمد ٦/٤٥١ والترمذي في كتاب البر والصلة / باب ما جاء في حسن
الخلق رقم (٢٠٠٢) وقال : هذا حديث حسن صحيح .

يأنيب الله زدني . قال : «إذا أسأت فأحسن» قال : يأنيب الله زدني .
قال : «استقم وليحسن خلقك»^(١) .

وقال رسول الله - ﷺ - : «أنا زعيم ببیت فی ربض الجنة لمن ترك
المراء وإن كان محققاً، وببيت في وسط الجنة لمن ترك الكذب وإن
كان مازحاً، وببيت في أعلى الجنة لمن حسن خلقه»^(٢) .

هذا وأرجو الله - عز وجل - أن ينفع بهذه الرسالة مؤلفها ومحققها
وقارئها وناشرها وأن يكتب لنا الرضا والقبول إنه ولي ذلك والقادر
عليه وماتوفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب .

كتبه

صبري بن سلامة شاهين
لستة أيام خلون من
شهر ربيع الأول ١٤١٦ هـ
بمدينة الرياض

(١) أخرجه الحاكم ٥٤/١ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد من رواية

البصريين ولم يخرجاه وكذا في ٢٤٤/٤ وابن حبان رقم (١٩٢٢) موارد .

(٢) أخرجه أبوداود في كتاب الأدب / باب في حسن الخلق رقم (٤٨٠٠) .

وقال الهيثمي في المجمع ٢٦/٨ رواه الطبراني في الثلاثة والبراز وفي إسناد
الطبراني محمد بن الحصين ولم أعرفه والظاهر أنه التميمي وهو ثقة وبقية
رجالته ثقات .

وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٤٦٤) .

ترجمة شيخ الإسلام ابن تيمية

قال العلامة المجتهد المفسر صديق حسن خان - رحمه الله تعالى - في كتابه «التاج المكلل»:

شيخ الإسلام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام «ابن تيمية» الحاراني الدمشقي الحنبلي، تقي الدين أبو العباس.

قال الشوكاني في كتاب شرح الصدور في تحريم رفع القبور: هو الإمام المحيط بمذاهب سلف هذه الأمة وخلفها، انتهى.

وقال ابن فضل الله العمري في مسالك الأبصار: هو العلامة الحافظ المجتهد الحجة المفسر شيخ الإسلام نادرة العصر علم الزهاد.

وقال ابن رجب: هو الإمام الفقيه المجتهد المحدث المفسر الأصولي.

وقال الحافظ شمس الدين بن عبد الهادي في تذكرة الحفاظ: هو شيخنا الإمام الرباني، إمام الأئمة، ومفتي الأمة، بحر العلوم، سيد الحفاظ، فارس المعاني والألفاظ، فريد العصر، قريع الدهر، شيخ الإسلام، قدوة الأنعام، علامة الزمان، ترجمة القرآن، علم الزهاد، أوحى العباد، قانع المبتدعين، علامة المجتهدين.

وقال في البدر الطالع: شيخ الإسلام، إمام الأئمة المجتهد المطلق، ولد سنة ٦٦١هـ.

قال ابن حجر في الدرر: نظر في الرجال والعلل، وتفقه، وتمهر، وتقدم وصنف، ودرس وأفتى، وفاق الأقران، وصار عجباً في سرعة الاستحضار وقوة الجنان، والتوسع في المنقول والمعقول، والاطلاع على مذاهب السلف والخلف، انتهى.

وأقول أنا^(١): لا أعلم بعد ابن حزم مثله، وما أظن سمح الزمان ما بين عصري الرجلين بمن يشابههما أو يقاربهما.

قال الذهبي مملخصه: كان يقضي منه العجب إذا ذكر مسألة من مسائل الخلاف استدلل ورجح، وكان يحق له الاجتهاد لاجتماع شروطه، ومارأيت أسرع انتزاعاً للآيات الدالة على المسألة التي يوردها منه، ولا أشد استحضاراً للمتون وعزوها منه. كانت السنة نصب عينيه وعلى طرف لسانه بعبارة رشيقة، وكان آية من آيات الله في التفسير والتوسع فيه. قال: ولعل فتاواه في الفنون تبلغ ثلاث مائة مجلد، بل أكثر، وكان قوَّالاً بالحق، لا تأخذه في الله لومة لائم.

وكان أبيض، أسود الرأس واللحية، قليل الشيب، شعره إلى شحمة أذنيه، كأن عينيه لسانان ناطقان، ربعة من الرجال بعيد

(١) القائل هو العلامة صديق حسن خان - رحمه الله تعالى -.

مابين المنكبين، جهوري الصوت فصيحاً، سريع القراءة تعتريه حدة؛ لكن يقهرها بالحلم. قال: ولم أر مثله في ابتهاله واستعانته بالله وكثرة توجهه إليه، وأنا لا أعتقد فيه عصمة، بل أنا مخالف له في مسائل أصلية وفرعية، فإنه كان بشراً من البشر تعتريه حدة في البحث؛ وغضب وصدمة للخصوم، تزرع له عداوة في النفوس، ولو لا ذلك لكان كلمة إجماع، فإن كبارهم خاضعون لعلمه، معترفون بأنه بحر لا ساحل له، وكنز ليس له نظير، ولكن ينقمون عليه أخلاقاً وأفعالاً، وكل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ -

قال الذهبي: ولا كان متلاعباً بالدين، ولا يتفرد بمسائل بالتشهي، ولا يطلق لسانه بما اتفق، بل يحتج بالقرآن والحديث والقياس، ويبرهن وينظر أسوة لمن تقدمه من الأئمة، فله أجر على خطئه وأجران على إصابته، انتهى.

قال الشوكاني: ومع هذا، فقد وقع له مع أهل عصره قلاقل وزلازل، وامتنح مرة بعد أخرى، وحبس حبساً بعد حبس، وجرت فتن عديدة. والناس قسمان في شأنه، فبعض منهم مقصر به عن المقدار الذي يستحقه، بل يرميه بالعظائم، وبعض آخر يبالغ في وصفه ويجاوز به الحد، ويتعصب له، كما يتعصب أهل القسم الأول عليه، وهذه قاعدة مطردة في كل عالم يتبحر في المعارف العلمية، ويفوق أهل عصره، ويدين بالكتاب والسنة، فإنه لا بد

أن يستنكره المقصرون، ويقع له معهم محنة، ثم يكون أمره الأعلى وقوله الأولى، ويصير له بتلك الزلازل لسان صدق في الآخرين.

ويكون لعلمه حظ لا يكون لغيره، وهكذا كان حال هذا الإمام، فإنه بعد موته عرف الناس مقداره، واتفقت الألسن بالثناء عليه إلا من لا يعتد به، وطارت مصنفاته واشتهرت مقالاته، انتهى.

قال ابن رجب - رحمه الله تعالى - في حقه: شيخ الإسلام وعلم الأعلام، وشهرته تغني عن الإطناب في ذكره والإسهاب في أمره، عني بالحديث، وسمع المسند مرات والكتب الستة ومعجم الطبراني الكبير، ومالا يحصى من الكتب والأجزاء، وقرأ بنفسه وكتب بخطه جملة من الأجزاء، وأقبل على العلوم في صغره، وبرع في ذلك، وقرأ في العربية، وأقبل على تفسير القرآن الكريم فبرز فيه، وأحكم أصول الفقه والفرائض والحساب، ونظر في علم الكلام والفلسفة، وبرز في ذلك على أهله - ورد على رؤسائهم وأكابرهم، ومهر في هذه الفضائل، وتأهل للفتوى والتدريس وله دون عشرين سنة، وأفتى من قبل عشرين أيضاً، وأمد بكثرة الكتب وسرعة الحفظ وقوة الإدراك والفهم وبطوء النسيان، حتى قال غير واحد: إنه لم يكن يحفظ شيئاً فينساه.

وقال الذهبي: شيخنا وشيخ الإسلام، فريد الزمان علماً ومعرفة وشجاعة وذكاء وتنويراً إلهياً وكرماً ونصحاً للامة وأمراً بالمعروف ونهياً

عن المنكر، وسمع الحديث وأكثر بنفسه في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقيق معانيه بطبع سيال وخاطر إلى مواقع الإشكال ميال، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقل من يحفظ ما يحفظه من الحديث معزواً إلى أصوله مع شدة استحضار له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث أنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب، بل بما يقوم دليله عنده، واتقن العربية أصولاً وفروعاً وتعليلاً واختلافاً، ونظر في العقلية، وعرف أقوال المتكلمين، ورد عليهم، ونبه على خطئهم، وحذر منهم، ونصر السنة بأوضح حجج وأبره براهين، وأوذى في ذات الله من المخالفين، وأخيف في نصر السنة المحضة، حتى أعلى الله مناره، وجمع قلوب أهل التقوى على محبته والدعاء له، وكبت أعداءه وهدى به رجالاً من أهل الملل والنحل، وجبل قلوب الملوك والأمراء على الانقياد له غالباً وعلى طاعته.

قال ابن رجب: ، قلت: وقد عرض عليه قضاء القضاة ومشيشة الشيوخ فلم يقبل شيئاً من ذلك، أثنى عليه ابن سيد الناس ثناءً بالغاً حسناً، وكتب الذهبي في تاريخه الكبير ترجمة مطولة له، قال فيها: لا يبلغ أحد في العصر رتبته ولا يقاربه، وهو عجب في استحضار واستخراج الحجج منه، وإليه المنتهى في عزوه إلى الكتب

السته والمسند بحيث يصدق عليه أن يقال «كل حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث».

قال: فلقد كان عجباً في معرفة علم الحديث، ولقد كتب «الحموية» في قعدة واحدة وهي أزيد من ذلك، وله يد طولى في الكلام على المعارف والأحوال والتمييز بين صحيح ذلك وسقيمه ومعوجه وقويمه. وقد ترجم له ابن الزملكاني ترجمة عظيمة، وأثنى عليه ثناءً عظيماً. ومدحه أبو حيان الأندلسي نظماً حسناً.

وكان الحافظ المزي يبالغ تعظيم الشيخ والثناء عليه حتى كان يقول: لم ير مثله منذ أربعمئة سنة.

وقال ابن رجب: بلغني من طريق صحيح عن ابن الزملكاني أنه سئل عن الشيخ، فقال: لم نر - من خمسمئة سنة أو أربعمئة سنة - الشك من الناقل - وغالب ظنه أنه قال من خمسمئة سنة - أحفظ منه». وكذلك المشائخ العارفون كالقدوة محمد بن قوام، ويحكى أنه كان يقول: ما أسلمت معارفنا إلا على يد «ابن تيمية»، والشيخ عماد الدين الواسطي كان يعظمه جداً ويتلمذ له مع أنه كان أسن منه، وكان يقول: قد شارف مقام الأئمة الكبار، ويناسب قيامه في بعض الأمور مقام الصديقين. وكتب رسالة إلى خواص أصحاب الشيخ ويوصيهم بتعظيمه واحترامه؛ ويعرفهم حقوقه؛ ويذكر فيها أنه طاف أعيان بلاد الإسلام ولم ير فيها مثل الشيخ عملاً وعلماً، وحالاً وخلقاً واتباعاً وكرماً وحلماً في حق نفسه، وقياماً في حق الله عند

انتهاك حرماته ، وأقسم على ذلك بالله ثلاث مرات ، ثم قال :
أصدق الناس عقلاً ، وأصحهم علماً وعزماً ، وأنفذهم ، وأعلاهم في
انتصار الحق وقيامه ؛ وأسخاهم كفاً ، وأكملهم اتباعاً لنبه محمد
- ﷺ - ، مارأينا في عصرنا هذا من يستجلي النبوة المحمدية وسننها
من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح -
أن هذا هو الاتباع حقيقة .

وأما شجاعته فبها تضرب الأمثال وبيعضها يتشبه الأكابر
الأبطال ، فلقد أقامه الله في نوبة غازان ، والتقى أعباء الأمر بنفسه ،
وقام وقعد وطلع وخرج واجتمع بالملك مرتين ، وكان « شقحب »
يتعجب من إقدامه وجراته على المغول ، وله حدة قوية تعتريه في
البحث حتى كأنه « ليث حرب » وهو أكبر من أن ينبه مثلي على
نعوته .

وله نظم قليل وسط ، ولم يتزوج ، ولا تسرى ، ولا له من المعلوم
إلا شيء قليل ، وأخوه يقوم بمصالحه ، ولا يطلب منهم غداء ولا
عشاء في غالب الوقت ، وما رأيت في العالم أكرم منه ، ولا أفرغ منه
عن الدينار والدرهم لا يذكره - ولا أظنه يدور في ذهنه ، وفيه مروءة
وقيام مع أصحابه وسعي في مصالحهم ، وهو فقير لا مال له ،
وملبوسه كأحد الفقهاء ، ولم يخن لأحد قط ، وإنما يسلم ، ويصافح ،
ويتبسم .

وأما محنه فكثيرة ، وشرحها يطول جداً ، منها : أنه امتحن في

سنة ٧٠٥هـ بالسؤال عن معتقده - بأمر السلطان - فجمع نائبه القضاة والعلماء بالقصر، واحضر من داره «العقيدة الواسطية» فقرأوها في ثلاثة مجالس، وحاققوه وبحثوا معه؛ ووقع الاتفاق بعد ذلك على أن هذه عقيدة سنية سلفية، فمنهم من قال ذلك طوعاً ومنهم من قاله كرهاً، وورد بعد ذلك كتاب من السلطان فيه: أنها قصدنا براءة ساحة الشيخ، وتبين لنا أنه على عقيدة السلف.

قال الحافظ ابن القيم: سمعت «ابن تيمية» - قدس الله روحه ونور ضريحه - يقول في الحبس، «إن في الدنيا جنة، من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة» قال: وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي، أنا جنتي في قلبي، وبستاني في صدري، أين رحلت فهي، معي لا تفارقني، أنا حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان في حبسه يقول: لو بذلت ملأ هذه القلعة ذهباً ما عدل عندي شكر هذه النعمة، أو قال: ماجزيتهم على ماتسببوا لي من الخير - ونحو هذا.

وقال مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه، والمأسور من أسره هواه. ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها - نظر إليه، وقال: ﴿فضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب﴾ انتهى حاصله.

قال ابن رجب وأما تصانيفه فهي أشهر من أن تذكر، وأعرف

من أن تنكر، سارت مسير الشمس في الأقطار، وامتلأت بها البلاد والأمصار، قد جاوزت حد الكثرة، فلا يمكن أحد حصرها، ولا يتسع هذا المكان بعد المعروف منها ولا ذكرها، ثم ذكر نبذة من أسماء أعيان مصنفاته الكبار، ثم ذكر طرفاً من مفرداته وغرائبها، منها: أنه اختار ارتفاع الحدث بالمياه المعتصرة كالورد ونحوه.

ثم ذكر ابن رجب وفاته - رحمه الله - وقال: مرض الشيخ في القلعة بضعة وعشرين يوماً، ولم يعلم أكثر الناس بمرضه ولم يفجأهم إلا موته، وكانت وفاته في سحر ليلة الاثنين عشرين ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ، ذكره مؤذن القلعة على منارة الجامع - وتكلم به الحرس على الأبرجة فتسامع الناس بذلك، وبعضهم أعلم به في منامه، وأصبح الناس واجتمعوا حول القلعة حتى أهل الغوطة، ولم يطبخ أهل الأسواق شيئاً، ولا فتحوا كثيراً من الدكاكين التي من شأنها أن تفتح أول النهار، وفتح باب القلعة، واجتمع خلق كثير من أصحابه يبكون ويشنون، وأخبر أخوه أنه منذ دخل القلعة ختم ثمانين ختمة، وانتهى إلى قوله ﴿إن المتقين في جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر﴾.

صلى عليه الزاهد القدوة محمد بن تمام، وأخرج إلى جامع دمشق، وكان الجمع أجمع من جمع الجمع، ثم ساروا به والناس في بكاء وثناء وتهليل وتأسف، والنساء فوق الأسطحة، وكان يوماً مشهوداً لم يعهد بدمشق مثله، ولم يتخلف من أهل البلد وحواضره

إلا الضعفاء والمخدرات، وصرخ صارخ: هكذا يكون جناز أهل السنة، فبكى الناس بكاء كثيرا عند ذلك، واشتد الزحام وألقى الناس على نعشه مناديلهم وعمائمهم، وصار النعش على الرؤوس يتقدم تارة ويتأخر أخرى، وخرج الناس من أبواب المدينة كلها، ودفن وقت العصر، وحزر الرجال بستين ألفا إلى مائة ألف وأكثر، والنساء بخمسة عشر ألفا. ظهر بذلك قول الإمام أحمد: «بيننا وبين أهل البدع يوم الجناز» وختم له ختمات كثيرة بالصالحية والمدينة، وتردد الناس إلى زيارة قبره أياما كثيرة ليلا ونهارا. ورؤيت له منامات كثيرة صالحة، ورثاه خلق من العلماء والشعراء بقصائد كثيرة من بلدان شتى وأقطار متباعدة، وتأسف المسلمون لفقده، وصلى عليه صلاة الغائب في غالب بلاد الإسلام - القرية والبعيدة - حتى في اليمن والصين، وأخبر المسافرون أنه نودي بأقصى الصين للصلاة عليه يوم الجمعة: الصلاة على ترجمان القرآن. انتهى مختصراً^(١).

(١) التاج المكلل من ص ٤٢٠ إلى ص ٤٣٠ ترجمة رقم (٤٦٦).

الوصية الصغرى

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية

رحمته الله

(٦٦١ - ٧٢٨ هـ)

محققه وزيّج أمّارية وعلّوه عليه

صبري بن سلامة شاهين

سؤال أبي القاسم المغربي^(١)

يتفضلُ الشيخُ الإمامُ، بقيَّةُ السلفِ، وقدوةُ الخلفِ، أعلمُ من لقيتُ ببلادِ المشرقِ والمغربِ، تقيَ الدينِ أبو العباسِ أحمدُ ابنُ تيميةَ بأن يُوصيني بما يكونُ فيه صلاحُ ديني ودنيايَ، ويُرشدني إلى كتابٍ يكونُ عليه اعتماذي في علمِ الحديثِ، وكذلك في غيره من العلومِ الشرعيةِ، وينبّهني على أفضلِ الأعمالِ الصالحةِ بعدَ الواجباتِ، ويبيِّنَ لي أرجحَ المكاسبِ. كلُّ ذلك على قصدِ الإيحاءِ والاختصارِ، واللَّهُ - تعالى - يحفظُ. والسلامُ الكريمُ عليه ورحمةُ الله وبركاته.

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين.

أما «الوصية» فما أعلمُ وصيةً أنفعَ من وصيةِ الله ورسوله لمن عقلها واتبعها. قال - تعالى - : ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٠/٦٥٣ - ٦٦٥.

مِنْ قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنْ اتَّقُوا اللَّهَ ﴿١﴾ . [النساء: ١٣١] (١) .
 ووصى النبي - ﷺ - مُعَاذًا لَمَّا بَعَثَهُ إِلَى الْيَمَنِ ، فَقَالَ : «يَا مُعَاذُ!
 اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ ، وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا ، وَخَالِقِ النَّاسَ
 بِخُلُقٍ حَسَنٍ» (٢)

(١) والوصية هي وصية جميع الرسل صلوات الله وسلامه عليهم إلى أقوامهم
 فقال - سبحانه - : ﴿كذبت قوم نوح المرسلين* إذ قال لهم أخوهم نوح ألا
 تتقون﴾ [الشعراء: ١٠٥ ، ١٠٦] وقال - تعالى - : ﴿كذبت عاد
 المرسلين* إذ قال لهم أخوهم هود ألا تتقون﴾ [الشعراء: ١٢٣ ، ١٢٤]
 وقال - تعالى - : ﴿كذبت ثمود المرسلين* إذ قال لهم أخوهم صالح ألا
 تتقون﴾ [الشعراء: ١٤١ ، ١٤٢] وقال - تعالى - : ﴿كذبت قوم لوط
 المرسلين* إذ قال لهم أخوهم لوط ألا تتقون﴾ [الشعراء: ١٦٠ ، ١٦١]
 وقال تعالى : ﴿كذب أصحاب لئكة المرسلين* إذ قال لهم شعيب ألا
 تتقون﴾ [الشعراء: ١٧٦ ، ١٧٧] .

(٢) أخرجه أحمد ١٥٨/٥ والترمذي في كتاب البر والصلة/ باب ما جاء في
 معاشره الناس رقم (١٩٨٧) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن صحيح .
 والدارمي في كتاب الرقاق/ باب في حسن الخلق رقم (٢٧٩٤) وحسنه
 الألباني في صحيح الجامع رقم (٩٧) .

وتقوى الله - عز وجل - هي وصية رسول الله - ﷺ - لأصحابه فقد ثبت عنه
 في أكثر من حديث أنه أوصاهم بتقوى الله - عز وجل - فقال - ﷺ - :
 «أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة . . .» أخرجه أحمد ١٢٦/٤ ، ١٢٧
 والترمذي رقم (٢٦٧٦) وقال : هذا حديث حسن صحيح . وأبو داود رقم
 (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٩) .

وكذلك قال رسول الله - ﷺ - : «اتقوا الله وصلوا خمسكم وصوموا =

وكان مُعَاذُ، - رضي الله عنه - من النبي - ﷺ - بِمَنْزِلَةِ عَلِيٍّ؛ فإنه قال له: «يا معاذُ! والله! إني لأحبُّكَ»^(١) وَكَانَ يُرَدِّفُهُ وَرَاءَهُ. وَرُويَ فِيهِ أَنَّهُ: أَعْلَمُ الْأُمَّةِ بِالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ^(٢)، وَأَنَّهُ يُحْشَرُ أَمَامَ الْعُلَمَاءِ

= شهركم...» أخرجه أحمد ٢٥١/٥ والحاكم ٩/١ وصححه ووافقه الذهبي وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (١٠٩).

وعن أبي ذر قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أوصيكم بتقوى الله تعالى في سر أمرك وعلايته...» أخرجه أحمد ١٨١/٥ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٤).

وقال أيضاً لأبي هريرة - رضي الله عنه -: «أوصيك بتقوى الله تعالى والتكبير على كل شرف» أخرجه أحمد ٣٢٥/٢، ٣٣١ وابن ماجه رقم (٢٧٧١) والحاكم ٤٤٥/١، ٤٤٦ و٩٨/٢ وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٥).

وعن أبي سعيد الخدري - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - ﷺ -: «أوصيك بتقوى الله تعالى فإنه رأس كل شيء...» أخرجه أحمد ٨٢/٣ وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٢٥٤٣).

(١) أخرجه أحمد ٢٤٤/٥، ٢٤٥، ٢٧٤ وأبوداود في كتاب الوتر/ باب في الاستغفار رقم (١٥٢٢) والنسائي في كتاب السهو/ باب نوع آخر من الدعاء ٥٣/٣ رقم (١٣٠١) وابن خزيمة في صحيحه رقم (٧٥١) وابن حبان (موارد) رقم (٢٣٤٥) والطبراني في الكبير رقم (١١٠) والحاكم ٢٧٣/١ وصححه ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٧٩٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب المناقب/ باب مناقب معاذ بن جبل وزيد بن ثابت... رقم (٣٧٩١) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن = صحيح.

بِرْتَوَةٍ - أي بِخُطْوَةٍ - (١) ومن فَضَّلِهِ أَنَّهُ بَعَثَهُ النَّبِيُّ - ﷺ - مُبَلِّغاً عنه، : دَاعِيَاً، وَمُفَقِّهًا، وَمُفْتِيًا، وَحَاكِمًا إِلَى أَهْلِ الْيَمَنِ.

وَكَانَ يُشَبِّهُهُ بِإِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ - عَلَيْهِ السَّلَام - وَإِبْرَاهِيمَ إِمَامَ النَّاسِ . وَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - يَقُولُ : إِنَّ مُعَاذًا كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٢)، تَشْبِيهًا لَهُ بِإِبْرَاهِيمَ . ثُمَّ إِنَّهُ - ﷺ - وَصَّاهُ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ، فَعَلِمَ أَنَّهَا جَامِعَةٌ، وَهِيَ كَذَلِكَ

- = وأحمد ٣/١٨٤، ٢٨١ وابن ماجه في المقدمة رقم (١٥٤).
- وأبو نعيم في الحلية ١/٢٢٨، ٣/١٢٢ وعبدالرزاق في المصنف رقم (٢٠٣٨٧) وابن حبان رقم (٢٢١٨) موارد. والحاكم ٣/٤٢٢ وقال: هذا إسناد صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه. . ووافقه الذهبي. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٩٥).
- (١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٤. وعن محمد بن كعب القرظي قال: قال رسول الله - ﷺ -: «معاذ بن جبل أُمَامُ الْعُلَمَاءِ بِرْتَوَةٍ» رواه الطبراني مرسلاً وفيه محمد بن عبدالله بن أزهر الأنصاري ولم أعرفه وبقيّة رجاله رجال الصحيح.
- (٢) قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٩/٣١٤. وعن عبدالله بن مسعود قال: إن معاذاً كان أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ. فقال بعض جلسائه: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ قال: لم أنس. ثم قال: أتدرون ما الأُمة؟ قالوا: لا. قال: الذي يعلم الناس الخير. قال: هل تدرون ما القانت؟ قالوا: لا. قال: المطيع لله - عز وجل - . رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير حجاج بن إبراهيم وهو ثقة.

لَنْ عَقَلَهَا، مَعَ أَنَّهَا تَفْسِيرُ الْوَصِيَّةِ الْقُرْآنِيَّةِ^(١)

(١) قال العلامة ابن القيم في رسالته الموسومة بالرسالة التبوكية: [وأما التقوى فحقيقتها العمل بطاعة الله إيماناً واحتساباً، أمراً ونهيّاً، فيفعل ما أمر الله به إيماناً وتصديقاً بوعده ويترك ما نهى الله عنه إيماناً بالنهي وخوفاً من وعيده، كما قال طلق بن حبيب: إذا وقعت الفتنة فاطفئوها بالتقوى. قالوا: وما التقوى؟! قال: أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله. وأن تترك معصية الله على نور من الله فتخاف عقاب الله]. ا. هـ. ﴿ولباس التقوى ذلك خير﴾. وكما قيل شعراً:

إذا المرء لم يلبس ثياباً من التقى تقلب عُريانا وإن كان كاسيا
وقيل:

خَلَّ الذُّنُوبَ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا فَهُوَ التَّقَى
وَاصْنَعْ كَمَا شِئْتَ فَوْقَ أَرْضِ الشُّوكِ يَذُرْ مَا يَرَى
لَا تَحْقِرَنَّ صَغِيرَةً إِنْ الْجِبَالُ مِنَ الْحَصَى
وأحسن من ذلك قول الله - تعالى -:

﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الألباب﴾ [البقرة: ١٩٧]
ودع ابن عون رجلاً فقال له: عليك بتقوى الله، فإن المتقي ليس عليه وحشة.

وكتب عمر بن عبدالعزيز إلى رجل يوصيه: أوصيك بتقوى الله - عز وجل - التي لا يقبل غيرها، ولا يرحم إلا أهلها، ولا يثيب إلا عليها.
وقال رجل ليونس بن عبيد: أوصني. فقال له: أوصيك بتقوى الله والإحسان. فإن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.
وقد سُئل رسول الله - ﷺ - من أكرم الناس؟ قال - ﷺ -: «أتقاهم لله...» أخرجه البخاري.

أما بيانُ جمعها، فلأنَّ العبدَ عليه حقان :
حق لله - عزَّ وجلَّ - . وَحَقُّ لِعِبَادِهِ .

ثم الحقُّ الَّذي عليه لأبدٌ أن يُخلَّ ببعضه أحياناً، إمَّا بتركِ مأمورٍ به، أو فعلٍ منهي عنه، فقال النبي - ﷺ - : « اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ » وَهَذِهِ كَلِمَةٌ جَامِعَةٌ، وَفِي قَوْلِهِ : « حَيْثُمَا كُنْتَ » تَحْقِيقُ لِحَاجَتِهِ إِلَى التَّقْوَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، ثُمَّ قَالَ : « وَاتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحُّهَا » فَإِنَّ الطَّبِيبَ مَتَى تَنَاوَلَ الْمَرِيضَ شَيْئاً مُضِراً أَمَرَهُ بِمَا يُصْلِحُهُ . وَالذَّنْبُ لِلْعَبْدِ كَأَنَّهُ أَمْرٌ حَتْمٌ .

فَالْكَيْسُ هُوَ الَّذِي لَا يَزَالُ يَأْتِي مِنَ الْحَسَنَاتِ بِمَا يَمْحُو السَّيِّئَاتِ . وَإِنَّمَا قَدَّمَ فِي لَفْظِ الْحَدِيثِ « السَّيِّئَةَ » وَإِنْ كَانَتْ مَفْعُولَةً، لِأَنَّ الْمُقْصُودَ هُنَا مَحْوُهَا؛ لَا فِعْلُ الْحَسَنَةِ، فَصَارَ كَقَوْلِهِ فِي بَوْلِ الْأَعْرَابِيِّ : « صُبُّوا عَلَيْهِ ذُنُوباً مِنْ مَاءٍ »^(١).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء / باب صب الماء على البول ٦١/١ .
ومسلم في كتاب الطهارة / باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات . .
رقم (٢٨٤)، (٢٨٥) والنسائي في كتاب الطهارة / باب ترك التوقيت في
الماء ٤٧/١ رقم ٥٣ - ٥٦ وأحمد ٢٢٦/٣ وأبو يعلى في المسند رقم (٣٤٦٧)
والبغوي في شرح السنة رقم (٢٩١) وابن ماجه في كتاب الطهارة باب
الأرض يصيبها البول كيف تغسل رقم (٥٢٨) .

وَيَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الْحَسَنَاتُ مِنْ جِنْسِ السَّيِّئَاتِ (١)، فَإِنَّهُ أَبْلَغُ فِي الْمَحْوِ. وَالذُّنُوبُ يَزُولُ مُوجِبُهَا بِأَشْيَاءٍ : أَحَدُهَا : التَّوْبَةُ (٢).

والثاني : الاستغفار مِنْ غَيْرِ تَوْبَةٍ (٣). فَإِنَّ اللَّهَ - تَعَالَى - قَدْ يَغْفِرُ لَهُ إِجَابَةً لِدُعَائِهِ وَإِنْ لَمْ يَتُبْ، فَإِذَا اجْتَمَعَتِ التَّوْبَةُ وَالِاسْتِغْفَارُ فَهُوَ الْكَمَالُ.

(١) قلت : كمن يعق أبويه فينبغي عليه أن يبالغ في برهما والإحسان إليهما. وكمن يقطع رحمه ويهجر أهله وأقاربه فينبغي عليه أن يصل ما انقطع ويقدم لهم البر والإحسان. وكمن يسيء إلى جيرانه فينبغي أن تكون حسناته الماحية لتلك السيئات أن يحسن جوار جيرانه ويتلطف معهم ويبذل لهم المعروف ويبالغ في إمطة الأذى عنهم ومحو سيئاته التي ارتكبها في حقهم. وهكذا.

(٢) قال رسول الله - ﷺ - : «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد/ باب ذكر التوبة رقم (٤٢٥٠). وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ٢٠٣/١٠ رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح إلا أن أبا عبيدة لم يسمع من أبيه. وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٠٠٨).

(٣) قال الله في الحديث القدسي : «... يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم» أخرجه مسلم في كتاب البر رقم (٢٥٧٧).

عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله - ﷺ - : «... ومن استغفر غفر الله له» أخرجه الترمذي في كتاب الدعوات رقم (٣٤٧٠) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب.

الثالث : الأعمال الصالحة المكفرة^(١)
إما «الكفارات المقدرة» : كما يكفر المجمع في رمضان^(٢) ،

(١) عن حمران مولى عثمان بن عفان أخبر أنه رأى عثمان دعا بإناء وتوضأ وغسل كل عضو ثلاثاً ثلاثاً. ثم قال عثمان : قال رسول الله - ﷺ - : «من توضأ نحو وضوئي هذا ثم صلى ركعتين لا يحدث فيهما نفسه غُفِرَ له ما تقدم من ذنبه» .

(٢) عن أبي هريرة قال : جاء رجل إلى النبي - ﷺ - فقال : هلكت يا رسول الله . قال : «وما أهلكك؟» قال : وقعت على امرأتي في رمضان . قال : «هل تجد ماتعتق رقبة؟» قال : لا . قال : «فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟» قال : لا . قال : «فهل تجد ماتطعم ستين مسكيناً؟» قال : لا . قال : ثم جلس فأتى النبي - ﷺ - بعرق فيه تمر . قال : «تصدق بهذا» قال : فهل على أفقر منا ، فما بين لابتيتها أهل بيت أحوج إليه منا . فضحك النبي - ﷺ - حتى بدت نواجذه . وقال : «اذهب فأطعمه أهلك» رواه الجماعة . قال الشوكاني رحمه الله في نيل الأوطار ٢١٥/٤ . وفيه أيضاً دليل على أنه يجزئ التكفير بكل واحدة من الثلاث الخصال . وروي عن مالك أنه لا يجزئ إلا الإطعام . والحديث يرد عليه ، وظاهر الحديث أنه لا يجزئ التكفير بغير هذه الثلاث . . . وقال : وظاهر الحديث أيضاً أن الكفارة بالخصال الثلاث على الترتيب . قال ابن العربي : لأن النبي - ﷺ - نقله من أمر بعد عدمه إلى أمر آخر ، وليس هذا شأن التخيير . ونازع عياض في ظهور دلالة الترتيب في السؤال عن ذلك . فقال : إن مثل هذا السؤال قد يستعمل فيما هو على التخيير ، وقرره ابن المنير . وقال البيضاوي : إن ترتيب الثاني على الأول ، والثالث على الثاني بالفاء يدل على عدم التخيير مع كونها في معرض البيان وجواب السؤال فتتزل منزلة الشرط . وإلى القول بالترتيب ذهب الجمهور . وقد وقع في الروايات ما يدل على الترتيب والتخيير والذين =

والمُظَاهِرُ^(١)، والمُرْتَكِبُ لِبَعْضِ مَحْظُورَاتِ الْحَجِّ^(٢)، أو تَارِكُ بَعْضِ

= رَوَا التَّرتِيبَ أَكْثَرُ وَمَعَهُمُ الزِّيَادَةُ. وَجَمَعَ الْمُهَلَّبُ وَالْقُرْطُبِيُّ بَيْنَ الرِّوَايَاتِ بِتَعَدُّدِ الْوَاقِعَةِ. قَالَ الْحَافِظُ: وَهُوَ بَعِيدٌ لِأَنَّ الْقِصَّةَ وَاحِدَةً وَالْمَخْرَجَ مُتَّحِدًا وَالْأَصْلَ عَدَمَ التَّعَدُّدِ وَجَمَعَ بَعْضُهُمْ بِحَمْلِ التَّرتِيبِ عَلَى الْأَوَّلِيَّةِ، وَالتَّخْيِيرِ عَلَى الْجَوَازِ، وَعَكْسَهُ بَعْضُهُمْ. انْتَهَى كَلَامُ الشُّوكَانِيِّ وَهَذَا هُوَ اخْتِيَارُ الْإِمَامِ أَحْمَدَ كَمَا فِي مَسَائِلِهِ عَنْ ابْنِهِ أَبِي الْفَضْلِ صَالِحٍ رَقْمَ ٩٩٣ وَ ٩٩٤، ٩٩٥.

(١) الظَّهَارُ أَنَّ يَقُولُ الرَّجُلُ لَامْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظْهَرِ أُمِّي. تَحْرِيمًا لَهَا عَلَى نَفْسِهِ، وَكَفَارَتِهِ أَنْ يَعْتَقَ رَقَبَةً، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ صَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ أَطْعَمَ سِتِينَ مَسْكِينًا. كَمَا قَالَ - تَعَالَى - فِي سُورَةِ الْمَجَادَلَةِ: ﴿وَالَّذِينَ يَظَاهَرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا ذَلِكُمْ تَوْعِظُونَ بِهِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامَ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتِمَّاسًا فَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَأَطْعَمَ سِتِينَ مَسْكِينًا ذَلِكَ لِتَوْمُنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٣ - ٤].
وَانْظُرْ نَيْلَ الْأَوْطَارِ ٢٥٨/٦ - ٢٦٣.

(٢) مَحْظُورَاتُ الْحَجِّ هِيَ:

- ١ - إِزَالَةُ الشَّعْرِ عَمْدًا بِحُلْقٍ أَوْ غَيْرِهِ سِوَاءَ مِنَ الرَّأْسِ أَوْ مِنَ الْجَسَدِ.
- ٢ - تَقْلِيمُ الْأَظْفَارِ.
- ٣ - اسْتِعْمَالُ الطِّيبِ فِي الثَّوْبِ أَوْ الْبَدَنِ بَعْدَ الْإِحْرَامِ.
- ٤ - الْجَمَاعَ وَدَوَاعِيَهُ مِثْلَ النَّظَرِ بِشَهْوَةٍ أَوْ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّقْبِيلِ وَكَذَا عَقْدَ النِّكَاحِ.
- ٥ - قَتْلُ الصَّيْدِ الْبَرِيِّ الْمُتَوْحِّشِ الْحَلَالِ مِثْلَ الطُّبَاءِ وَالْأَرَانِبِ وَكَذَا الْحِمَامِ وَهَذِهِ الْخَمْسَةُ يَتَسَاوَى فِيهَا الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ.

وَأَجْبَاتِهِ^(١)، أَوْ قَاتِلُ الصَّيْدِ^(٢) بِالْكَفَّارَاتِ الْمُقَدَّرَةِ وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ :

= وأما ما يخص الرجال دون النساء فهو:

١ - لبس المخيط وهو ما يلبس في العادة.

٢ - تغطية الرأس بملاصق مثل العمامة والقلنسوة.

وأما ما يخص النساء فهو:

١ - لبس النقاب وستر الوجه به.

فمن كان يؤدي أعمال الحج وارتكب محظوراً من هذه المحظورات فعليه الفدية كفارة لما فعله ومقدار الفدية: إما ذبح شاة أو إطعام ستة مساكين أو صيام ثلاثة أيام. وهذه الفدية على التخيير إذا شاء أن يفعل واحدة منها فعل.

(١) واجبات الحج هي:

١ - الإحرام من الميقات.

٢ - الوقوف بعرفة إلى الليل.

٣ - المبيت بمزدلفة.

٤ - المبيت بمنى ليالي أيام التشريق.

٥ - رمي الجمرات.

٦ - طواف الوداع.

فمن ترك واجباً من واجبات الحج فيلزمه دم، فإن لم يستطع صام عشرة أيام: ثلاثة في الحج وسبعة إذا رجع إلى أهله. وإذا لم يستطع الصوم في الحج صام العشرة كاملة بعد رجوعه إلى أهله.

(٢) أما قاتل الصيد فينظر إن كان للصيد مثل خير بين ثلاثة أشياء:

١ - أن يذبح مثله ويوزعه على فقراء مكة.

٢ - أو يقدر قيمته طعاماً ويوزعه على المساكين لكل مسكين نصف صاع. =

هَذِي وَعَتَقِي وَصَدَقْتِي وَصِيَّامٌ .
 وَإِذَا «الْكَفَّارَاتُ الْمُطْلَقَةُ» كَمَا قَالَ حُذَيْفَةُ لِعُمَرَ: فِتْنَةُ الرَّجُلِ فِي:
 أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، يُكْفِّرُهَا الصَّلَاةُ، وَالصِّيَامُ، وَالصَّدَقَةُ، وَالْأَمْرُ
 بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيُ عَنِ الْمُنْكَرِ^(١) .

وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الْقُرْآنُ وَالْأَحَادِيثُ الصَّحَاحُ فِي التَّكْفِيرِ:
 بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةِ، وَالصِّيَامِ^(٢)، وَالْحَجِّ، وَسَائِرِ
 الْأَعْمَالِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا: مَنْ قَالَ كَذًا، وَعَمِلَ كَذًا غُفِرَ لَهُ، أَوْ غُفِرَ

= ٣ - أَوْ يَصُومُ عَنْ طَعَامِ كُلِّ مَسْكِينٍ يَوْمًا .

أَمَّا إِذَا لَمْ يَجِدْ لِلصَّيْدِ الْمَقْتُولِ مَثَلًا يُخَيِّرُ بَيْنَ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ مِنَ الثَّلَاثَةِ السَّابِقَةِ
 وَيَعْفَى مِنَ الْأَوَّلِ .

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الصَّوْمِ / بَابِ الصَّوْمِ كِفَارَةُ ٢/٢٢٦ وَفِي كِتَابِ
 الْفَتَنِ / بَابِ الْفِتْنَةِ الَّتِي تَمُوجُ كَمَوْجِ الْبَحْرِ ٨/٩٥، ٩٦ وَفِي كِتَابِ الْمَنَاقِبِ /
 بَابِ عَلَامَاتِ النَّبُوَّةِ فِي الْإِسْلَامِ ٤/١٧٤ .
 وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ / بَابِ بَيَانِ أَنَّ الْإِسْلَامَ بَدَأَ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ غَرِيبًا
 رَقْمَ (٢٣١) وَالتِّرْمِذِيُّ فِي كِتَابِ الْفَتَنِ رَقْمَ (٢٢٥٨) وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ
 ٤٠١/٥، ٤٠٥ .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الطَّهَارَةِ / بَابِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ إِلَى
 الْجُمُعَةِ وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ مَكْفَرَاتٍ لِمَا بَيْنَهُمَا مَا اجْتَنَبَتْ الْكِبَائِرُ رَقْمَ
 (٢٣٣) (١٤، ١٥، ١٦) وَأَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ ٢/٣٥٩، ٤٠٠، ٤١٤ .

لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ^(١)، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لِمَنْ تَلَقَّاهَا مِنَ الشُّنَنِ خُصُوصاً
مَا صُنِّفَ فِي فُضَائِلِ الْأَعْمَالِ .

وَاعْلَمْ أَنَّ الْعِنَايَةَ بِهَذَا مِنْ أَشَدِّ مَا بِالْإِنْسَانِ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ، فَإِنَّ
الْإِنْسَانَ مِنْ حِينَ يَبْلُغُ، خُصُوصاً فِي هَذِهِ الْأَزْمِنَةِ؛ وَنَحْوَهَا مِنْ
أَزْمِنَةِ الْفَتَرَاتِ الَّتِي تُشَبِّهُ الْجَاهِلِيَّةَ مِنْ بَعْضِ الْوُجُوهِ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ
الَّذِي يَنْشَأُ بَيْنَ أَهْلِ عِلْمٍ وَدِينٍ، قَدْ يَتَلَطَّخُ مِنْ أُمُورِ الْجَاهِلِيَّةِ

(١) مثل ما يروى عن عثمان بن عفان عن النبي - ﷺ - أنه قال: «من توضأ نحو
وضوئي هذا ثم يصلي ركعتين لا يحدث نفسه فيهما بشيء غفر له ما تقدم من
ذنبه» .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصوم / باب السواك الرطب واليابس
للصائم ٢٣٥/٢ ومسلم في كتاب الطهارة / باب فضل الوضوء والصلاة
عقبه رقم (٢٢٩) .

وكذا ما يروى عن سهل بن سعد أن النبي - ﷺ - قال: «من صام يوم
عرفة، غفر له ستين متتابعين» .

والحديث أخرجه الطبراني في الكبير رقم (٥٩٢٣) وأبو يعلى رقم (٧٥٤٨)
وقال الهيثمي في مجمع الزوائد ١٩٢/٣ [رواه أبو يعلى والطبراني في الكبير
ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

وكذا حديث أبي هريرة أن رسول الله - ﷺ - قال: «من قال: سبحان الله
وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر» .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب فضل التسييح
١٦٨/٧ .

بَعْدَ أَشْيَاءٍ^(١)، فَكَيْفَ بَغَيْرِ هَذَا؟!

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - : «لَتَتَّبَعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَذَوِ الْقُدَّةَ بِالْقُدَّةِ، حَتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى؟ قَالَ: «فَمَنْ؟»^(٢). هَذَا خَبَرٌ تَصَدِّقُهُ فِي قَوْلِهِ - تَعَالَى - : ﴿فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا﴾^(٣) [التوبة : ٦٩] وَلِهَذَا شَوَاهِدٌ فِي الصَّحَاحِ وَالْحِسَانِ.

(١) هذا ما يحدث دائماً. وقد حدث في خير القرون عندما ضرب رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فغضب الأنصاري غضباً شديداً حتى تداعوا وقال الأنصاري: يا للأنصار. وقال المهاجري: يا للمهاجرين. فخرج النبي - ﷺ - فقال: «ما بال دعوى الجاهلية؟» ثم قال: «ما شأنهم؟» فأخبروه بكسعة المهاجري للأنصاري. قال: فقال النبي - ﷺ -: «دعوها فإنها منتنة». وهذا الحديث متفق عليه. انظر اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية رحمه الله ص ٧٠، ٧١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الاعتصام / باب قول النبي - ﷺ -: «لَتَتَّبَعَنَّ سَنَنَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ» ١٥١/٨ ومسلم في كتاب العلم / باب اتباع سَنَنِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى رقم (٢٦٦٩).

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٢٥ [وجمع سبحانه بين الاستمتاع بالخلاق وبين الخوض: لأن فساد الدين إما أن يقع بالاعتقاد الباطل والتكلم به، أو يقع في العمل بخلاف الاعتقاد الحق. والأول هو البدع ونحوها. والثاني هو فسق الأعمال ونحوها. والأول =

وَهَذَا أَمْرٌ قَدْ يَسْرِي فِي الْمُتَسِّبِينَ إِلَى الدِّينِ مِنَ الْخَاصَّةِ، كَمَا قَالَ
غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ السَّلَفِ مِنْهُمْ ابْنُ عُيَيْنَةَ: فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ الْيَهُودِ
قَدْ أُبْتُلِيَ بِهِ بَعْضُ الْمُتَسِّبِينَ إِلَى الْعِلْمِ، وَكَثِيرًا مِنْ أَحْوَالِ النَّصَارَى
قَدْ أُبْتُلِيَ بِهِ بَعْضُ الْمُتَسِّبِينَ إِلَى الدِّينِ^(١)، كَمَا يُبَصِّرُ ذَلِكَ مَنْ فَهِمَ
دِينَ الْإِسْلَامِ الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ بِهِ مُحَمَّدًا - ﷺ - ثُمَّ نَزَّلَهُ عَلَى أَحْوَالِ
النَّاسِ.

وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، فَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ، فَهُوَ عَلَى
نُورٍ مِنْ رَبِّهِ، وَكَانَ مَيِّتًا، فَأَحْيَاهُ اللَّهُ، وَجَعَلَ لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي
النَّاسِ، لَا بُدَّ أَنْ يُلَاحِظَ أَحْوَالِ الْجَاهِلِيَّةِ، وَطَرِيقَ الْأُمَمَيْنِ:

= من جهة الشبهات، والثاني من جهة الشهوات. ولهذا كان السلف يقولون:
احذروا من الناس صنفين: صاحب هوى قد فتنه هواه، وصاحب دنياه
أعمته دنياه. وكانوا يقولون: احذروا فتنة العالم الفاجر والعباد الجاهل. فإن
فتنتهما فتنة لكل مفتون. فهذا يشبه المغضوب عليهم الذين يعلمون الحق
ولا يتبعونه، وهذا يشبه الضالين الذين يعملون بغير علم]. ا. هـ.

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم ص ٥
[وجماع ذلك: أن كفر اليهود أصله من جهة عدم العمل بعلمهم فهم
يعلمون الحق ولا يتبعونه قولاً أو عملاً. أو لا قولاً ولا عملاً. وكفر النصارى
من جهة عملهم بلا علم. فهم يجتهدون في أصناف العبادات بلا شريعة
من الله. ويقولون على الله مالا يعلمون. ولهذا كان السلف،
كسفيان بن عيينة وغيره يقولون: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود
ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى]. أ. هـ.

الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمْ، وَالضَّالِّينَ، مِنْ: الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، فَيَرَى أَنْ
قَدْ أُبْتُيَ بَعْضُ ذَلِكَ^(١).

فَانْفَعْ مَا لِلخَاصَّةِ وَالْعَامَّةِ: الْعِلْمُ بِمَا يُخَلِّصُ النُّفُوسَ مِنْ هَذِهِ
الْوَرَطَاتِ؛ وَهُوَ اتِّبَاعُ السَّيِّئَاتِ الْحَسَنَاتِ. وَالْحَسَنَاتُ مَا نَدَّبَ اللَّهُ
إِلَيْهِ عَلَى لِسَانِ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ: مِنَ الْأَعْمَالِ، وَالْأَخْلَاقِ،
وَالصِّفَاتِ^(٢).

(١) قلت: من آتاه الله الفقه في الدين والتبصرة بأحوال الغابرين ووقف على
ما ابتليت به الأمة من مشابهة المغضوب عليهم والضالين عِلْمَ عِلْمِ اليقين
أن الله يحب البصير الناقد عند ورود الشبهات، وأنه - سبحانه - يحب
العاقل الكامل عند حلول الشهوات.

وصدق والله ابن عباس - رضي الله عنهما - عندما قال: ما أشبه الليلة
بالبارحة هؤلاء بنو إسرائيل شبهنا بهم.

وصدق والله ابن مسعود - رضي الله عنه - حينما قال: أنتم أشبه الأمم ببني
إسرائيل سمتا وهديا، تتبعون عملهم حذو القذة بالقذة، غير أني لا
أدري: أتعبدون العجل أم لا؟

وصدق والله حذيفة بن اليمان - رضي الله عنه - حينما قال: المنافقون الذين
منكم اليوم شر من المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله - ﷺ -. قلنا:
وكيف؟! قال: أولئك كانوا يخفون نفاقهم وهؤلاء أعلنوه.

(٢) اعمل بعلمك تغنم أيها الرجل لا ينفع العلم إن لم يحسن العمل
والعلم زين وتقوى الله زينه والمتقون لهم في علمهم شغل
وحجة الله إذا العلم بالغة لا المكر ينفع فيها لا ولا الحيل
تعلم العلم واعمل ما استطعت به لا يلهينك عنه اللهو والجدل =

وَمِمَّا يُزِيلُ مُوجِبَ الذُّنُوبِ: الْمَصَائِبُ الْمُكَفِّرَةُ، وَهِيَ كُلُّ مَا يُؤْلَمُ مِنْ: هَمٍّ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ أَذًى، فِي مَالٍ، أَوْ عَرَضٍ، أَوْ جَسَدٍ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ^(١)، لَكِنْ لَيْسَ هَذَا مِنْ فِعْلِ الْعَبْدِ.

= وَعَلَّمَ النَّاسَ وَاقْصِدْ نَفْعَهُمْ أَبَدًا
وَعِظْ أَخَاكَ بِرَفَقٍ عِنْدَ زَلَّتْهُ
وَإِنْ تَكُنْ بَيْنَ قَوْمٍ لَا خَلَقَ لَهُمْ
فَإِنْ عَصَوْكَ فَرَاغَهُمْ بِلَا ضَجَرٍ
فَكُلُّ شَاةٍ بِرَجْلَيْهَا مَعْلُوقَةٌ
إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ يَعْتَادَكَ الْمَلَلُ
فَالْعِلْمُ يَعْطِفُ مَنْ يَعْتَادُهُ الزَّلَلُ
فَأَمْرٌ عَلَيْهِمْ بِمَعْرِفٍ إِذَا جَهِلُوا
وَاصْبِرْ وَصَابِرٌ وَلَا يَجْزَنُكَ مَا فَعَلُوا
عَلَيْكَ نَفْسُكَ إِنْ جَارُوا وَإِنْ عَدَلُوا
يَنْسَبُ هَذَا الشَّعْرُ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي عَلِيٍّ الْأَصْبَهَانِيِّ. انْظُرْ كِتَابَ اقْتِضَاءِ الْعِلْمِ
الْعَمَلُ لِلْخَطِيبِ الْبَغْدَادِيِّ تَحْقِيقُ الْأَلْبَانِيِّ رَقْمَ ٤٨.

(١) عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَنْ مَرَضَ أَوْ وَجَعَ يَصِيبُ الْمُؤْمِنَ إِلَّا كَانَ كَفَّارَةً لَذُنُوبِهِ، حَتَّى الشُّوْكَةُ يَشَاكُهَا أَوْ النُّكْبَةُ يَنْكُبُهَا».

أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي كِتَابِ الْمَرَضِ / بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ الْمَرَضِ ١/٧
وَمُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الْبِرِّ وَالصَّلَةِ وَالْأَدَابِ / بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيْمَا يَصِيبُهُ مِنْ
مَرَضٍ أَوْ حُزْنٍ أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ رَقْمَ (٢٥٧٢).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «مَا يَصِيبُ
الْمُؤْمِنَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذًى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشُّوْكَةُ
يَشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

انْظُرْ فِي ذَلِكَ الرِّسَالَةَ الْقِيَمَةَ لِلْحَافِظِ ابْنِ رَجَبٍ الْحَنْبَلِيِّ الْمُسَوِّمَةِ بِـ «غَايَةِ
النَّفْعِ فِي شَرْحِ حَدِيثِ تَمْثِيلِ الْمُؤْمِنِ بِخَامَةِ الزَّرْعِ» بِتَحْقِيقِيٍّ وَمَعَهَا رِسَالَتِي
الْمُسَوِّمَةِ بِـ «الْمُؤْمِنُ بَيْنَ الْبَلَاءِ وَالصَّبْرِ» مِنْ إِصْدَارَاتِ دَارِ الْحَمِيزِيِّ
بِالرِّيَاضِ.

فَلَمَّا قَضَىٰ بِهَاتَيْنِ الْكَلِمَتَيْنِ: حَقَّ اللَّهُ مِنْ عَمَلِ الصَّالِحِ ،
وَإِصْلَاحِ الْفَاسِدِ، قَالَ: «وَخَالَقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنِ» وَهُوَ حَقُّ
النَّاسِ .

وَجَمَاعُ الْخُلُقِ الْحَسَنِ مَعَ النَّاسِ : أَنْ تَصِلَ مَنْ قَطَعَكَ
بِالسَّلَامِ ، وَالْإِكْرَامِ ، وَالِدُعَاءِ لَهُ ، وَالِاسْتِغْفَارِ ، وَالشَّائِ عَلَيْهِ ،
وَالزِّيَارَةِ لَهُ ، وَتُعْطِيَ مَنْ حَرَمَكَ مِنَ: التَّعْلِيمِ ، وَالْمَنْفَعَةِ ، وَالْمَالِ ،
وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ: فِي دَمٍ ، أَوْ مَالٍ ، أَوْ عِرْضٍ . وَتَعُضُّ هَذَا
وَاجِبٌ ، وَتَعُضُّهُ مُسْتَحَبٌّ .

وَأَمَّا الْخُلُقُ الْعَظِيمُ الَّذِي وَصَفَ بِهِ مُحَمَّدًا - ﷺ - فَهُوَ الدِّينُ
الْجَامِعُ لَجَمِيعِ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ مُطْلَقًا^(١) ، هَكَذَا قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ .
وَهُوَ تَأْوِيلُ الْقُرْآنِ ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا -: «كَانَ خُلُقُهُ
الْقُرْآنَ»^(٢) وَحَقِيقَتُهُ الْمُبَادَرَةُ إِلَى امْتِثَالِ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ - تَعَالَى - بِطِيبِ
نَفْسٍ وَانْشِرَاحِ صَدْرِ .

(١) وهو قوله - تعالى - في وصف رسول الله - ﷺ -: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ
عَظِيمٍ﴾ .

(٢) قال قتادة - وكان أصيب يوم أحد - : فقلت : يَا أَمُّ الْمُؤْمِنِينَ ! أَنْبِئْنِي عَنْ خُلُقِ
رَسُولِ اللَّهِ - ﷺ - قالت : أَلَسْتُ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ ؟ قلت : بَلَى . قالت : فَإِنَّ خُلُقَ
نَبِيِّ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ الْقُرْآنَ .

أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ صَلَاةِ الْمَسَافِرِينَ / بَابِ جَامِعِ صَلَاةِ اللَّيْلِ وَمَنْ نَامَ
عَنْهُ أَوْ مَرَضَ رَقْمَ (٧٤٦) وَأَبُو دَاوُدَ فِي كِتَابِ التَّطَوُّعِ / بَابِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ
رَقْمَ (١٣٤٢) .

وَأَمَّا بَيَانُ أَنَّ هَذَا كُلَّهُ فِي وَصِيَّةِ اللَّهِ، فَهُوَ أَنَّ إِسْمَ: تَقْوَى اللَّهِ يَجْمَعُ فِعْلَ كُلِّ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ إِجَابًا وَاسْتِحْبَابًا، وَمَا نَهَى عَنْهُ تَحْرِيبًا

= وعن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان رسول الله - ﷺ - أحسن الناس خلقًا.

أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب جواز الجماعة في النافلة والصلاة على حصير رقم (٦٥٩).

وعن جابر قال: أقبلنا مع رسول الله - ﷺ - حتى إذا كنا بذات الرقاع. قال: كنا إذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله - ﷺ -. قال: فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله - ﷺ - معلق بشجرة. فأخذ سيف نبي الله - ﷺ - فاخترطه. فقال لرسول الله - ﷺ -: أتخافني؟ قال: «لا» قال: فمن يمنعك مني؟ قال: «الله يمنعني منك» قال: فتهدده أصحاب رسول الله - ﷺ - فأغمد السيف وعلقه... وفي رواية: ولم يعاقبه.

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير/ باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة ٢٢٩/٣ ومسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب صلاة الخوف رقم (٨٤٣).

أليس يدل ذلك على دماثة خلقه - ﷺ - وسعة حلمه وصفحه واحتماله أذى الأعداء والجهال ولم يكن هذا هو الحدث الوحيد فأحداث السيرة وكتب السنة فيها الكثير مما يبين كرم أخلاقه وعظيم شمائله وصفاته.

فلو حدث معشار هذا الحدث مع أحد طواغيت الأرض اليوم من الذين يحكمون في الناس الشرائع الكفرية والقوانين الوضعية الجاهلية ويحكمونهم بالنار والحديد. أقول: لو حدث معشار ذلك أو أقل منه لذهب يرغي ويزيد ويتوعد ويهدد ويعد العدة ويوظف رجاله للنيل ممن فعل ذلك أو ممن تحدثه نفسه أن يفعل ذلك حتى يصل الأمر إلى القتل بالشبه والزج في =

وَتَنْزِيهَاً^(١)؛ وَهَذَا يَجْمَعُ: حُقُوقَ اللَّهِ وَحُقُوقَ الْعِبَادِ.
لَكِنْ لَمَّا كَانَ تَارَةً يَعْنِي بِالتَّقْوَى خَشْيَةَ الْعَذَابِ، الْمُقْتَضِيَةَ
لِلْإِنْكَفَافِ عَنِ الْمَحَارِمِ، جَاءَ مُفَسَّرًا فِي حَدِيثٍ مُعَاذٍ، وَكَذَلِكَ فِي
حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ،
وَصَحَّحَهُ: «قِيلَ: يَارَسُولَ اللَّهِ! مَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الْجَنَّةَ؟
قَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ». قِيلَ: وَمَا أَكْثَرُ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ
النَّارَ؟ قَالَ: «الْأَجُوفَانِ: الْفَمُ وَالْفَرْجُ»^(٢).

= السجون بما يدور في العقول ومحاربة النطف في الأرحام في الظلام وإنا لله
وإنا إليه راجعون. فأين أولئك المنتسبين إلى الملة المعدودين على الإسلام
أين هم من تلك الأخلاق العالية والفضائل السامية؟ لا أم لهم. بل الويل
والخزي والعار لهم وعليهم في الدنيا والآخرة.

(١) تقدم كلام ابن القيم نقلاً عن الرسالة التبوكية وكلام طلق بن حبيب في
تعريف حد التقوى. وقول ابن القيم - رحمه الله - في هذا التعريف: وهذا
من أحسن ما قيل في حد التقوى.

وقال ابن القيم - رحمه الله -: [وأما التقوى فهي الطريق الموصل إلى البر
والوسيلة إليه، ولفظها يدل على هذا، فإنه فعلى. ومن بقي بقي. وكان
أصلها وقوى فقلبوا الواو تاء. كما قالوا: تراث من الورثة. وتجاه من
الوجه، وتخممة من الوحمة، ونظائرها. فلفظها دال على أنها من الوقاية فإن
المتقي قد جعل بينه وبين النار وقاية. والوقاية من باب دفع الضرر. فالتقوى
والبر كالعافية والصحة]. الرسالة التبوكية ص ٩.

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة/ باب ماجاء في حسن الخلق رقم
(٢٠٠٤) وقال أبو عيسى: هذا حديث صحيح غريب.

وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا - قَالَ :
 قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ - : « أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا : أَحْسَنُهُمْ
 خُلُقًا » (١) فَجَعَلَ كَمَالَ الْإِيمَانِ فِي كَمَالِ حُسْنِ الْخُلُقِ .
 وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْإِيمَانَ كُلَّهُ : تَقْوَى اللَّهِ ، وَتَفْصِيلُ أَصُولِ التَّقْوَى
 وَفُرُوعُهَا لَا يَحْتَمِلُهُ هَذَا الْمَوْضِعُ ، فَإِنَّهَا الدِّينُ كُلُّهُ .
 لَكِنْ يَنْبَغُ الْخَيْرُ وَأَصْلُهُ : إِخْلَاصُ الْعَبْدِ لِرَبِّهِ : عِبَادَةً ، وَاسْتِعَانَةً ،
 كَمَا فِي قَوْلِهِ : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ فَاعْبُدْهُ
 وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ . وَفِي قَوْلِهِ : ﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ وَفِي قَوْلِهِ :
 ﴿ فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ﴾ بِحَيْثُ يَقْطَعُ الْعَبْدُ
 تَعَلُّقَ قَلْبِهِ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ ، انْتِفَاعًا بِهِمْ ، أَوْ عَمَلًا لِأَجْلِهِمْ ، وَيَجْعَلُ
 هِمَّتَهُ رَبَّهُ - تَعَالَى - وَذَلِكَ بِمُلَازِمَةِ الدُّعَاءِ لَهُ فِي كُلِّ مَطْلُوبٍ مِنْ :
 فَاقَةٍ ، وَحَاجَةٍ ، وَمَخَافَةٍ ، وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَالْعَمَلُ لَهُ بِكُلِّ مَحْبُوبٍ . وَمَنْ
 أَحْكَمَ هَذَا ؛ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوصَفَ مَا يَعْقُبُهُ ذَلِكَ .
 وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ بَعْدَ الْفَرَائِضِ . فَإِنَّهُ

= وابن ماجه في كتاب الزهد / باب ذكر الذنوب رقم (٤٢٤٦) وأحمد في المسند
 . ٤٤٢/٢

(١) أخرجه أبو داود في كتاب السنة / باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه رقم
 (٤٦٨٢) والترمذي في كتاب الرضاع / باب حق المرأة على زوجها رقم
 (١١٦٢) وقال أبو عيسى : حديث أبي هريرة هذا حديث حسن صحيح
 وأبو يعلى في المسند رقم (٤١٦٦) .

يُخْتَلَفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ ، فِيمَا يَقْدُرُونَ عَلَيْهِ ، وَمَا يُنَاسِبُ أَوْقَاتِهِمْ ، فَلَا يُمْكِنُ فِيهِ جَوَابٌ جَامِعٌ مُفْصَّلٌ لِكُلِّ أَحَدٍ (١) .

لَكِنْ مِمَّا هُوَ : كَالْإِجْمَاعِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ بِاللَّهِ وَأَمْرِهِ : أَنَّ مُلَازِمَةَ ذِكْرِ اللَّهِ دَائِمًا ، هُوَ أَفْضَلُ مَا شَغَلَ الْعَبْدَ بِهِ نَفْسَهُ فِي الْجُمْلَةِ ، وَعَلَى ذَلِكَ دَلٌّ حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ الَّذِي رَوَاهُ مُسْلِمٌ : «سَبَقَ الْمُفْرَدُونَ» قَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ : وَمَنْ الْمُفْرَدُونَ؟ قَالَ : «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ» (٢) .

وَفِيمَا رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عَنِ النَّبِيِّ ﷺ - أَنَّهُ قَالَ : «أَلَا أُنبِئُكُمْ بِخَيْرِ أَعْمَالِكُمْ وَأَزْكَاهَا عِنْدَ مَلِكِكُمْ ، وَأَرْفَعَهَا فِي دَرَجَاتِكُمْ ، وَخَيْرٍ لَكُمْ مِنْ إِعْطَاءِ الذَّهَبِ وَالْوَرِقِ ، وَمِنْ

(١) وهذا حق لأن رسول الله - ﷺ - سُئِلَ أَكْثَرَ مِنْ مَرَّةٍ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ فَأَجَابَ - ﷺ - بِإِجَابَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ تَتَنَاسَبُ مَعَ حَالِ السَّائِلِ وَظُرُوفِهِ وَإِمْكَانِيَّاتِهِ . فَقَدْ سُئِلَ عَنْ أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ؟ فَأَجَابَ مَرَّةً بِأَن أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ : الْحُبُّ فِي اللَّهِ . وَأَجَابَ فِي مَرَّةٍ أُخْرَى : أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ إِيمَانُ بِاللَّهِ .

وَفِي مَرَّةٍ أُخْرَى أَجَابَ بِأَن أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ الصَّلَاةُ لَوَقْتِهَا . وَأَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَفْضَلُ الْعَمَلِ . وَسُئِلَ أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : «إِيمَانُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» قِيلَ : ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ : «حُجٌّ مَبْرُورٌ» وَسُئِلَ - ﷺ - : أَيُّ الْعَمَلِ أَفْضَلُ؟ قَالَ : «الصَّلَاةُ عَلَى مِيقَاتِهَا» قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ : «ثُمَّ بَرُّ الْوَالِدَيْنِ» قُلْتُ : ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ : «الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ» .

(٢) أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي كِتَابِ الذِّكْرِ وَالِدُعَاءِ / بَابِ الْحَثِّ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى رَقْمَ (٢٦٧٦) .

أَنْ تَلْقَوْا عَدُوَّكُمْ فَتَضْرِبُوا أَعْنَاقَهُمْ، وَيَضْرِبُوا أَعْنَاقَكُمْ؟ قَالُوا: بَلَىٰ يَارسُورُ اللَّهِ، قَالَ: «ذَكَرُ اللَّهِ»^(١).

والدلائل القرآنية والإيمانية بصرًا، وخبرًا، ونظرًا على ذلك كثيرة. وأقل ذلك أن يُلَازِمَ الْعَبْدُ الْأَذْكَارَ الْمَأْثُورَةَ عَنْ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ - ﷺ -:

كَالْأَذْكَارِ الْمُؤَقَّتَةِ فِي أَوَّلِ النَّهَارِ وَآخِرِهِ^(٢)، وَعِنْدَ أَخْذِ الْمَضْجَعِ^(٣)،

(١) أخرجه مالك في الموطأ في كتاب القرآن / باب ماجاء في ذكر الله تبارك وتعالى رقم (٢٤) والترمذي في كتاب الدعاء رقم (٣٣٧٧) وقال أبو عيسى: وقد روى بعضهم هذا الحديث عن عبدالله بن سعيد مثل هذا الإسناد. وروى بعضهم عنه فأرسله.

وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل الذكر رقم (٣٧٩٠). وقال معاذ بن جبل: ما عمل امرؤ بعمل أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله.

وأحمد بن حنبل في المسند ٥/١٩٥، ٢٣٩ و ٤٤٧/٦.

(٢) وهي أذكار الصباح والمساء مثل أن يقال: أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. رب أسألك خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها، وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر» وإذا أصبح قال ذلك أيضاً: «أصبحنا وأصبح الملك لله».

أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء رقم (٢٧٢٣).

(٣) قال رسول الله - ﷺ -: «إذا أخذت مضجعتك فتوضأ وضوءك للصلاة، ثم اضطجع على شقك الأيمن، ثم قل: اللهم أسلمت نفسي إليك، =

وَعِنْدَ الاسْتِيقَاطِ مِنَ الْمَنَامِ ^(١)، وَإِذْبَارِ الصَّلَوَاتِ ^(٢).
وَالْأَذْكَارُ الْمُقَيَّدَةُ، مِثْلَ مَا يُقَالُ عِنْدَ الْأَكْلِ، وَالشُّرْبِ ^(٣)،

= وفوضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك، وألجأت ظهري إليك،
رغبة ورهبة إليك، لا ملجأ ولا منجأ منك إلا إليك. آمنت بكتابك الذي
أنزلت، وبنبيك الذي أرسلت، فإن مت مت على الفطرة». أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب ما يقول إذا نام ١٤٧/٧ ومسلم
في كتاب الذكر والدعاء / باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع رقم
(٢٧١٠).

(١) قال رسول الله - ﷺ -: «... وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا
بعدما أماتنا وإليه النشور».

أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب وضع اليد اليمنى تحت الخد
الأيمن ١٤٧/٧.

(٢) عن ثوبان قال: كان رسول الله - ﷺ - إذا انصرف من صلاته، استغفر
ثلاثاً. وقال: «اللهم أنت السلام، ومنك السلام، تباركت ذا الجلال
والإكرام».

أخرجه مسلم في كتاب المساجد / باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان
صفته رقم (٥٩١).

وقال رسول الله - ﷺ -: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين،
وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين. فتلك تسعة وتسعون.
وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو
على كل شيء قدير، غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر». أخرجه
مسلم في كتاب المساجد / باب استحباب الذكر بعد الصلاة رقم (٥٩٧).

(٣) عن عائشة قالت: إن رسول الله - ﷺ - قال: «إذا أكل أحدكم طعاماً =

وَاللَّبَاسِ^(١)، وَالْجَمَاعِ^(٢).

= فليذكر اسم الله. فإن نسي أن يذكر الله في أوله، فليقل: باسم الله على أوله وآخره.

أخرجه أبو داود في كتاب الأطعمة / باب التسمية على الطعام رقم (٣٧٦٧) والترمذي في كتاب الأطعمة / باب ماجاء في التسمية على الطعام رقم (١٨٥٨) وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح. وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٨٠).

(١) عن أبي سعيد أن النبي - ﷺ - كان إذا اكتسب ثوباً سمّاه باسمه: عمامة أو قميص أو رداء، ويقول: «اللهم لك الحمد، أنت كسوتي، أسألك من خيره وخير ما صنع له. وأعوذ بك من شره وشر ما صنع له».

الحديث أخرجه أحمد ٣/٣٠، ٥٠ وأبو داود في كتاب اللباس / باب ماجاء في اللباس رقم (٤٠٢٠) والترمذي في كتاب اللباس / باب مايقول إذا لبس ثوباً جديداً رقم (١٧٦٧) وقال أبو عيسى: وهذا حديث حسن غريب صحيح والحاكم في مستدركه ٤/١٩٢ وقال: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي. وابن حبان كما في الموارد رقم (١٤٤٢) وابن السني في عمل اليوم والليلة / باب مايقول إذا لبس ثوباً رقم (١٤) والنسائي في عمل اليوم والليلة رقم (٣٠٩) وأبو يعلى في مسنده رقم (١٠٧٩).

(٢) عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: قال النبي - ﷺ -: «لو أن أحدهم إذا أراد أن يأتي أهله. قال: بسم الله اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان مارزقتنا. فإنه إن يقدر بينهما ولد في ذلك لم يضره شيطان أبداً».

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب مايقول إذا أتى أهله ٧/١٦٣ ومسلم في كتاب النكاح / باب ما يستحب أن يقوله عند الجماع رقم (١٤٣٤) وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٦٠٨).

وَدُخُولِ الْمَنْزِلِ (١) وَالْمَسْجِدِ (٢) وَالْخَلَاءِ (٣)، وَالْخُرُوجِ مِنْ ذَلِكَ، وَعِنْدَ الْمَطَرِ (٤) وَالرَّغْدِ (٥)، إِلَى غَيْرِ

(١) عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله - ﷺ -: «إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المَوْلَج وخير المَخْرَج، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا. ثم يسلم على أهله» الحديث أخرجه أبوداود في كتاب الأدب مايقول إذا خرج من بيته رقم (٥٠٩٦) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٨٣٩).

(٢) قال رسول الله - ﷺ -: «إذا دخل أحدكم المسجد، فليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك. وإذا خرج، فليقل: اللهم إني أسألك من فضلك». الحديث أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها / باب مايقول إذا دخل المسجد رقم (٧١٣) وسيأتي تخريجه كاملاً ص ٥٥.

(٣) عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: كان النبي - ﷺ - إذا دخل الخلاء قال: «اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث». الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب الدعاء عند الخلاء ١٥٠ / ٧ ومسلم في كتاب الحيض / باب مايقول إذا أراد دخول الخلاء رقم (٣٧٥).

(٤) عند عائشة - رضي الله عنها - أن رسول الله - ﷺ - كان إذا رأى المطر قال: «اللهم صَيِّباً نافعاً». الحديث أخرجه البخاري في كتاب الاستسقاء / باب مايقال إذا أمطرت ٢١ / ٢.

(٥) ورد عن عبدالله بن الزبير أنه كان إذا سمع الرعد ترك الحديث وقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته» ثم يقول: إن هذا الوعيد لأهل الأرض شديد.

ذَلِكَ ، وَقَدْ صُنِّفَتْ لَهُ الْكُتُبُ الْمُسَمَّاةُ بِعَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ ^(١) .
 ثُمَّ مُلَازِمَةُ الذِّكْرِ مُطْلَقًا ، وَأَفْضَلُهُ «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» ^(٢) .
 وَقَدْ تَعَرَّضُ أَحْوَالُ يَكُونُ بَقِيَّةُ الذِّكْرِ مِثْلُ : «سُبْحَانَ اللَّهِ ،
 وَالْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» ، أَفْضَلُ مِنْهُ ^(٣) .

= أخرجہ مالک فی الموطأ فی کتاب الکلام / باب القول إذا سمعت الرعد ص
 ٩٩٢ رقم (٢٦) .

(١) مثل کتاب عمل اليوم واللیلة للإمام النسائي ولالإمام ابن السني وکتاب
 الأذکار النووية للإمام النووي وکتاب الکلم الطیب للإمام ابن تیمیة
 وکتاب الوابل الصیب للإمام ابن قیم وغيرها .

(٢) عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما - قال : سمعت رسول الله - ﷺ -
 يقول : «أفضل الذكر : لا إله إلا الله ، وأفضل الدعاء : الحمد لله» .

الحديث أخرجه الترمذي في كتاب الدعاء / باب ماجاء أن دعوة المسلم
 مستجابة رقم (٣٣٨٣) وقال أبو عيسى : هذا حديث حسن غريب .

وابن ماجه في كتاب الأدب / باب فضل الحمدین رقم (٣٨٠٠) .

والحاكم في المستدرک ٥٠٣/١ وقال : هذا حديث صحيح الإسناد ولم
 يخرجاه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في صحيح الجامع رقم (١١٠٤) .

(٣) عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله - ﷺ - قال : «استكثروا من الباقيات

الصالحات» قيل : وماهي يا رسول الله ؟ قال : «الملة» قيل : وماهي يا رسول

الله ؟ قال : «الملة» قيل : وماهي يا رسول الله ؟ قال : «الملة» قيل : وماهي

يا رسول الله ؟ قال : «التكبير والتهليل والتسبيح ، والتحميد ولا حول ولا

قوة إلا بالله» .

الحديث أخرجه أحمد ٧١/١ و٧٥/٣ و٢٦٨/٤ وأبو يعلى في مسنده رقم

(١٣٨٤) .

ثُمَّ يَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ مَا تَكَلَّمَ بِهِ اللِّسَانُ وَتَصَوَّرَهُ الْقَلْبُ مِمَّا يُقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ تَعَلُّمٍ عِلْمٍ وَتَعْلِيمِهِ، وَأَمْرٍ بِمَعْرُوفٍ، وَنَهْيٍ عَنِ مُنْكَرٍ، فَهُوَ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ.

وَلِهَذَا مَنْ اشْتَغَلَ بِطَلَبِ الْعِلْمِ النَّافِعِ بَعْدَ آدَاءِ الْفَرَائِضِ، أَوْ جَلَسَ مَجْلِسًا يَتَفَقَّهُ أَوْ يُفَقِّهِ فِيهِ الْفَقَّهُ الَّذِي سَمَّاهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَقَهَا، فَهَذَا أَيْضًا مِنْ أَفْضَلِ ذِكْرِ اللَّهِ.

وَعَلَى ذَلِكَ إِذَا تَدَبَّرْتَ لَمْ تَجِدْ بَيْنَ الْأَوَّلِينَ فِي كَلِمَاتِهِمْ فِي أَفْضَلِ الْأَعْمَالِ كَبِيرَ اخْتِلَافٍ.

وَمَا اشْتَبَهَ أَمْرُهُ عَلَى الْعَبْدِ فَعَلَيْهِ بِالِاسْتِخَارَةِ الْمَشْرُوعَةِ^(١)، فَمَا

= قال الهيثمي في مجمع الزوائد ١/٣٠٢ قلت في الصحيح بعضه - رواه أحمد وأبو يعلى والبزار ورجالهم رجال الصحيح غير الحارث بن عبد الله مولى عثمان بن عفان وهو ثقة . وقال في مجمع الزوائد ١٠/٩٠ رواه أحمد وأبو يعلى إلا أنه قال : وما هن بدل وما هي . وإسنادهما حسن .

(١) عن جابر - رضي الله عنه - قال : كان النبي - ﷺ - يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كالسورة من القرآن : «إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين ثم يقول : اللهم إني أستخيرك بعلمك واستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علام الغيوب . اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري . أو قال : في عاجل أمري وآجله فاقدره لي . وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة أمري . أو قال : في عاجل أمري

نَدِمَ مَنْ اسْتَخَارَ اللَّهَ - تَعَالَى - . وَلِيَكْثُرَ مِنْ ذَلِكَ وَمِنَ الدُّعَاءِ ، فَإِنَّهُ مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَلَا يَعَجَلْ ، فَيَقُولُ : قَدْ دَعَوْتُ ، فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي ^(١) ، وَلِيَتَحَرَّ الْأَوْقَاتُ الْفَاضِلَةَ : كَأَخْرِ اللَّيْلِ ^(٢) ، وَأَذْبَارِ

= وأجله ، فاصرفه عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به ، ويسمي حاجته» .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب الدعاء عند الاستخارة . ١٦٢/٧

(١) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال : إن رسول الله - ﷺ - قال : «يُستجاب لأحدكم ما لم يعجل يقول : دعوت فلم يستجب لي» .

الحديث أخرجه البخاري في كتاب الدعوات / باب يستجاب للعبد ما لم يعجل ١٥٣/٧ .

(٢) أخرج البخاري في كتاب التهجد / باب الدعاء والصلاة من آخر الليل عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال : «ينزل ربنا - تبارك وتعالى - كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ، يقول : من يدعوني فاستجب له ، من يسألني فأعطيه ، من يستغفرني فأغفر له» . ٤٧/٢

ومسلم في كتاب صلاة المسافرين / باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل رقم (٧٥٨) .

وأبوداود في كتاب السنة / باب في الرد على الجهمية رقم (٤٧٣٣) .
والترمذي في كتاب الصلاة / باب ماجاء في نزول الرب عز وجل رقم (٤٤٦) .

وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب ماجاء في أي ساعات الليل أفضل رقم (١٣٦٦) .

الصَّلَوَاتِ^(١)، وَعِنْدَ الْأَذَانِ^(٢)، وَوَقْتُ نَزُولِ الْمَطَرِ^(٣)، وَنَحْوَ ذَلِكَ.

وَأَمَّا أَرْجَحُ الْمَكَاسِبِ: فَالتَّوَكُّلُ عَلَى اللَّهِ، وَالثِّقَةُ بِكَفَايَتِهِ، وَحُسْنُ الظَّنِّ بِهِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْمُهْتَمِّ بِأَمْرِ الرِّزْقِ؛ أَنْ يَلْجَأَ

- (١) أخرج مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة/ باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته رقم (٥٩٧) عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن رسول الله - ﷺ -: «من سبح الله في دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين، وحمد الله ثلاثاً وثلاثين، وكبر الله ثلاثاً وثلاثين. فتلك تسعة وتسعون. وقال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له. له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. غفرت خطاياهم وإن كانت مثل زبد البحر».
- (٢) عن أنس بن مالك أن رسول الله - ﷺ - قال: «ألا إن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة، فادعوا».

أخرجه أحمد في مسنده ٣/ ١١٩، ١٥٥، ٢٢٥، ٢٥٤. وأبو داود في كتاب الصلاة/ باب ماجاء في الدعاء بين الأذان والإقامة رقم (٥٢١) والترمذي في كتاب الصلاة باب ماجاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة رقم (٢١٢) وقال أبو عيسى: حديث أنس حديث حسن صحيح. وكذلك أخرجه في كتاب الدعوات/ باب في العفو والعافية رقم (٣٥٩٤) و (٣٥٩٥) وأبو يعلى في المسند رقم (٣٦٧٩) و (٣٦٨٠) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٩٦) والبيهقي في السنن الكبرى ١/ ٤١٠ وفي السنن الصغرى رقم (٢٩٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٣٤٠٥) وحسن رواية الحاكم رقم (٣٤٠٦).

- (٣) سبق تخريجه ص ٣٧.

فِيهِ إِلَى اللَّهِ وَيَدْعُوهُ، كَمَا قَالَ - سُبْحَانَهُ - فِيمَا يَأْتُرُ عَنْهُ نَبِيُّهُ: «كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي، أَطْعَمَكُمْ. يَاعِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي، اكْسُكُمْ»^(١) وَفِيمَا رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسٍ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - ﷺ -: «لَيْسَ أَلْ أَحَدُكُمْ رَبُّهُ حَاجَتُهُ كُلَّهَا، حَتَّى شَسَعِ نَعْلَهُ إِذَا انْقَطَعَ، فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَسِرَّهُ لَمْ يَتَسَرَّ»^(٢).

وَقَدْ قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - فِي كِتَابِهِ: ﴿وَأَسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾. [النساء: ٣٢]. وَقَالَ - سُبْحَانَهُ -: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾. [الجمعة: ١٠]. وَهَذَا وَإِنْ كَانَ فِي الْجُمُعَةِ، فَمَعْنَاهُ قَائِمٌ فِي جَمِيعِ الصَّلَوَاتِ. وَلِهَذَا - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - أَمَرَ النَّبِيُّ - ﷺ - الَّذِي يَدْخُلُ الْمَسْجِدَ أَنْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب / باب تحريم الظلم رقم (٢٥٧٧). وأحمد بن حنبل في مسنده ٨١٥١/٥.

(٢) لم أقف عليه عند الترمذي كما قال المصنف - رحمه الله تعالى -.

وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٥٣/١٠ «رواه الترمذي غير قوله: وحتى يسأله الملح» رواه البزار ورجاله رجال الصحيح غير سيار بن حاتم وهو ثقة. وعن عائشة قالت: سلوا الله كل شيء حتى الشسع فإن الله إن لم يسره لم يتيسر. رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عبيد الله ابن المنادي وهو ثقة.

والحديث رواه أبو يعلى في مسنده رقم (٣٤٠٣). وابن السني في عمل اليوم والليلة رقم (٣٥٦) و (٣٥٧) وابن حبان كما في الموارد رقم (٢٤٠٢).

يَقُولُ: «اللَّهُمَّ افْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ» وَإِذَا خَرَجَ أَنْ يَقُولَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ»^(١) وَقَدْ قَالَ الْخَلِيلُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾. [العنكبوت: ١٧]. وَهَذَا أَمْرٌ، وَالْأَمْرُ يَقْتَضِي الْإِجَابَ. فَالاسْتِعَانَةُ بِاللَّهِ وَاللُّجَأُ إِلَيْهِ فِي أَمْرِ الرِّزْقِ وَغَيْرِهِ أَصْلٌ عَظِيمٌ.

ثُمَّ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَأْخُذَ السَّالَ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ لِيُبَارِكَ لَهُ فِيهِ، وَلَا يَأْخُذَهُ بِإِشْرَافٍ وَهَلَعٍ^(٢)، بَلْ يَكُونُ السَّالُ عِنْدَهُ: بِمَنْزِلَةِ الْخَلَاءِ،

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ باب ما يقول إذا دخل المسجد رقم (٧١٣) وأبو داود في كتاب الصلاة/ باب فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد رقم (٤٦٥) والترمذي في كتاب الصلاة/ باب ما جاء ما يقول عند دخول المسجد رقم (٣١٥).

وابن ماجه في كتاب المساجد والجماعات/ باب الدعاء عند دخول المسجد رقم (٧٧٢).

والنسائي في كتاب المساجد/ باب القول عند دخول المسجد وعند الخروج منه ٥٣/٢ رقم (٧٢٧) وأحمد في مسنده ٤٩٧/٣ و ٤٢٥/٤.

(٢) أخرج البخاري في كتاب الوصايا/ باب تأويل قول الله تعالى: ﴿مَنْ بَعْدَ وَصِيَّةٍ تَوْصُونَ بِهَا أَوْ دِينَ﴾ ١٨٩/٣ أن حكيم بن حزام - رضي الله عنه - قال: سألت رسول الله - ﷺ - فأعطاني ثم سألته فأعطاني ثم قال لي: «يا حكيم! إن هذا المال خضر حلو، فمن أخذه بسخاوة نفس بورك له فيه، ومن أخذه بإشراف نفس لم يبارك له فيه...».

وكذا أخرجه في كتاب الزكاة/ باب الاستعفاف عن المسألة ١٢٩/٢، ١٣٠ في كتاب الرقاق/ باب قول النبي - ﷺ -: «هذا المال خضرة حلوة» =

الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْقَلْبِ مَكَانَةٌ، وَالسَّعْيُ فِيهِ إِذَا سَعَى: كإِصْلَاحِ الْخَلَاءِ.

وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ الَّذِي رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ: «مَنْ أَصْبَحَ وَالدُّنْيَا أَكْبَرُ هَمِّهِ: شَتَّتَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ. وَمَنْ أَصْبَحَ وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ هَمِّهِ: جَمَعَ اللَّهُ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ»^(١).

وَقَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: أَنْتَ مُحْتَاجٌ إِلَى الدُّنْيَا؛ وَأَنْتَ إِلَى نَصِيكِكَ

= ١٧٦/٧ وفي كتاب الأحكام / باب رزق الحكام والعاملين عليها ١١١/٨، ١١٢.

ومسلم في كتاب الزكاة / باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى رقم (١٠٣٥) وفي باب إباحة الأخذ لمن أعطى من غير مسألة ولا إشراف رقم (١٠٤٥).

والترمذي في كتاب صفة القيامة / رقم (٢٤٦٣) والنسائي في كتاب الزكاة / باب اليد العليا ٥ / ٦٠ رقم (٢٥٢٩). وفي باب مسألة الرجل في أمر لا بد له منه ٥ / ١٠٠، ١٠١ رقم (٢٥٩٩) (٢٦٠٠).

والدارمي في كتاب الزكاة / باب النهي عن رد الهدية رقم (١٦٥٤) وفي باب النهي عن المسألة رقم (١٦٥٧) وفي كتاب الرقاق / باب الدنيا خضرة حلوة رقم (٢٧٥٣) وأحمد في مسنده ١ / ١٧، ٢١، ٤٠ / ٩٩.

(١) أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة رقم (٢٤٦٥) وأحمد في المسند ٥ / ١٨٣ وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٦٥١٠).

مِنَ الْآخِرَةِ أَحْجُجٌ ، فَإِنْ بَدَأَتْ بِنَصِيكِ مِنَ الْآخِرَةِ مُرَّ عَلَى نَصِيكِ
مِنَ الدُّنْيَا ؛ فَانْتَظِمُهُ انْتِظَامًا . قَالَ اللَّهُ - تَعَالَى - : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ
وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ
يُطْعَمُوا * إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾ . [الذاريات : ٥٦ - ٥٨] .

فَأَمَّا تَعْيِينُ مَكْسَبٍ عَلَى مَكْسَبٍ مِنْ صِنَاعَةٍ ، أَوْ تِجَارَةٍ ، أَوْ بِنَايَةٍ ،
أَوْ حِرَاثَةٍ ، أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ ، فَهَذَا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ النَّاسِ ، وَلَا أَعْلَمُ
فِي ذَلِكَ شَيْئًا عَامًّا ، لَكِنْ إِذَا عَنَّ لِلْإِنْسَانِ جِهَةٌ فَلْيَسْتَخِرِ اللَّهَ
- تَعَالَى - فِيهَا الِاسْتِخَارَةَ الْمُتَلَقَّاةَ عَنْ مُعَلِّمِ الْخَيْرِ - ﷺ - . فَإِنْ فِيهَا
مِنَ الْبَرَكَةِ مَا لَا يُحَاطُ بِهِ . ثُمَّ مَا تيسَّرَ لَهُ ، فَلَا يَتَكَلَّفُ غَيْرَهُ ؛ إِلَّا أَنْ
يَكُونَ مِنْهُ كَرَاهَةٌ شَرْعِيَّةٌ .

وَأَمَّا مَا تَعْتَمِدُ عَلَيْهِ مِنَ الْكُتُبِ فِي الْعُلُومِ : فَهَذَا بَابٌ وَاسِعٌ ،
وَهُوَ أَيْضًا يَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ نَشْءِ الْإِنْسَانِ فِي الْبِلَادِ ، فَقَدْ يَتيسَّرُ لَهُ
فِي بَعْضِ الْبِلَادِ مِنَ الْعِلْمِ ، أَوْ مِنْ طَرِيقِهِ ، وَمَذْهَبِهِ فِيهِ مَا لَا يَتيسَّرُ
لَهُ فِي بَلَدٍ آخَرَ .

لَكِنْ جَمَاعُ الْخَيْرِ أَنْ يَسْتَعِينُوا بِاللَّهِ - سُبْحَانَهُ - فِي تَلَقِّي الْعِلْمِ
الْمَوْزُوتِ عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - . فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَحَقُّ أَنْ يُسَمَّى
عِلْمًا ، وَمَا سِوَاهُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ عِلْمًا ، فَلَا يَكُونُ نَافِعًا ، وَإِمَّا أَنْ لَا يَكُونَ
عِلْمًا وَإِنْ سُمِّيَ بِهِ . وَلَئِنْ كَانَ عِلْمًا نَافِعًا فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِي مِيرَاثِ
مُحَمَّدٍ - ﷺ - . مَا يُغْنِي عَنْهُ ؛ مِمَّا هُوَ مِثْلُهُ وَخَيْرٌ مِنْهُ .

وَلَتَكُنْ هِمَّتُهُ فَهَمُّ مَقَاصِدِ الرَّسُولِ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَسَائِرِ كَلَامِهِ .

فَإِذَا اطْمَأَنَّ قَلْبُهُ : أَنَّ هَذَا هُوَ مُرَادُ الرَّسُولِ ؛ فَلَا يَعْدِلُ عَنْهُ فِيمَا بَيْنَهُ
وَبَيْنَ اللَّهِ - تعالى - وَلَا مَعَ النَّاسِ إِذَا أَمَكْنَهُ ذَلِكَ .

وَلِيَجْتَهِدَ أَنْ يَعْتَصِمَ فِي كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْعِلْمِ بِأَصْلٍ مَأْثُورٍ
عَنِ النَّبِيِّ - ﷺ - . وَإِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ مِمَّا قَدْ اخْتَلَفَ فِيهِ النَّاسُ ،
فَلْيَدْعُ بِمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ عَائِشَةَ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - أَنَّ
رَسُولَ اللَّهِ - ﷺ - كَانَ يَقُولُ إِذَا قَامَ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ : «اللَّهُمَّ رَبَّ :
جَبْرِيلَ ، وَمِيكَائِيلَ ، وَإِسْرَافِيلَ ، فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، عَالِمِ
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ،
اهْدِنِي لِمَا اخْتَلَفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ ؛ إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ » ^(١) .

فَإِنَّ اللَّهَ - تعالى - قَدْ قَالَ فِيمَا رَوَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ : «يَا عِبَادِي ! كُلُّكُمْ
ضَالٌّ ، إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ ، فَاسْتَهْدُونِي ، أَهْدِكُمْ » ^(٢) .
وَأَمَّا وَصَفُ «الْكُتُبِ وَالْمُصَنِّفِينَ» ، فَقَدْ سَمِعَ مِنَّا فِي أَثْنَاءِ
الْمُذَاكِرَةِ مَا يَسْرَهُ اللَّهُ - سُبْحَانَهُ - .

وَمَا فِي الْكُتُبِ الْمُصَنَّفَةِ الْمُبَوَّاتِ : كِتَابُ أَنْفَعُ مِنْ «صَحِيحِ

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين / باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه
رقم (٧٧٠) وأبو داود في كتاب الصلاة / باب ما يستفتح به الصلاة من
الدعاء رقم (٧٦٧) وابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها / باب
ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل رقم (١٣٥٧) .

(٢) تقدم تخريجه .

مُحَمَّدُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْبُخَارِيُّ، لَكَنْ هُوَ وَحْدَهُ لَا يَقُومُ بِأُصُولِ الْعِلْمِ، وَلَا يَقُومُ بِتَمَامِ الْمَقْصُودِ لِلْمُتَبَحِّرِ فِي أَبْوَابِ الْعِلْمِ، إِذْ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَةِ أَحَادِيثٍ أُخَرِ.

وَكَلَامُ أَهْلِ الْفِقْهِ، وَأَهْلِ الْعِلْمِ فِي الْأُمُورِ الَّتِي يَخْتَصُّ بِعِلْمِهَا بَعْضُ الْعُلَمَاءِ. وَقَدْ أُوعِبَتِ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنْ فُنُونِ الْعِلْمِ إِيْعَابًا.^(١)

(١) أول ما يعتني به طالب العلم في سبيل تحصيله للعلوم هو القرآن الكريم حفظاً وفهماً وتدبراً ووقوفاً على دلالاته ومعانيه وأفضل ما كتب في تفسيره كتاب إمام المفسرين ابن جرير الطبري. وكذا تفسير ابن كثير والقرطبي والبغوي ومن المعاصرين أضواء البيان للشنقيطي وفي ظلال القرآن لسيد قطب رحمهم الله جميعاً.

ومن كتب السنة وشروحها صحيح الإمام البخاري وشرحه فتح الباري للحافظ ابن حجر وصحيح الإمام مسلم وشرحه للإمام النووي وشرح آخر للإمام القرطبي والسراج الوهاج لصديق حسن خان.

وكذا كتب السنن وشروحها مثل تحفة الأحوزي لشرح الترمذي وعون المعبود بشرح سنن أبي داود والفتح الرباني بشرح مسند الإمام أحمد وغير ذلك من كتب السنة مثل كتاب السنة للالكائي وابن أبي عاصم.

أما كتب التوحيد والعقائد مثل كتاب شرح العقيدة الطحاوية والعقيدة الواسطية وكتاب لوامع الأنوار البهية وكتاب التوحيد لابن خزيمة وكتاب التوحيد لابن رجب الحنبلي بتحقيقي وكتاب التوحيد للإمام محمد بن عبد الوهاب وكتاب العلو للعلي الغفار للحافظ الذهبي وكتاب الإيمان لابن منده ولابن أبي شيبه.

فَمَنْ نَوَّرَ اللَّهُ قَلْبَهُ هَدَاهُ بِمَا يَبْلُغُهُ مِنْ ذَلِكَ، وَمَنْ أَعْمَاهُ لَمْ تَزِدْهُ كَثْرَةُ الْكُتُبِ إِلَّا حَيْرَةً وَضَلَالًا^(١)، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ - لأبي لبيد الأنصاري: «أَوَلَيْسَتْ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ عِنْدَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى؟! فَمَاذَا تَغْنِي عَنْهُمْ؟»^(٢).

= وبالجملة كتب العلامة شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وكتب ابن رجب الحنبلي وكتب الإمام محمد بن عبد الوهاب وأبنائه وأحفاده وتلاميذه وكتب سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز والعلامة الألباني وفصيلة الشيخ ابن عثيمين والأستاذ سيد قطب والأستاذ محمد قطب وغيرهم.

(١) فهم أشبه حالاً ومآلاً بمن قال الله فيهم وهو أصدق القائلين: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. [الجمعة: ٥].

وهم أشبه حالاً ومآلاً بالابل التي يقتلها الظمأ في جوف الصحراء وهي تحمل الماء على ظهورها لم تفد منه ولم ترتو وقد صورها الشاعر بقوله:

كالعيس في البيداء يقتلها الظمأ والماء على ظهورها محمول

(٢) عن أبي الدرداء قال: كنا مع رسول الله ﷺ - فشخص ببصره إلى السماء.

ثم قال: «هذا أوان يختلس العلم من الناس، حتى لا يقدروا منه على شيء». فقال زياد بن لبيد الأنصاري: كيف يختلس منا وقد قرأنا القرآن؟! فوالله لنقرأه ولنقرئنه نساءنا وأبناءنا. فقال: «ثكلتك أمك يا زياد إن كنت لأعدك من فقهاء أهل المدينة! هذه التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى، فماذا تغني عنهم؟» فقال جبير: فلقيت عبادة بن الصامت.

قلت: ألا تسمع إلى ما يقول أخوك أبو الدرداء فأخبرته بالذي قال

أبو الدرداء. قال: صدق أبو الدرداء، إن شئت لأحدثك بأول علم يرفع =

فَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ أَنْ يَرْزُقَنَا الْهُدَى وَالسَّادَاتِ، وَيُلْهِمَنَا رُشْدَنَا،
وَيَقِينَنَا شَرَّ أَنْفُسِنَا، وَأَنْ لَا يُزَيِّغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَيَهَبَ لَنَا مِنْ
لَدُنْهِ رَحْمَةً إِنَّهُ هُوَ الْوَهَّابُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى
أَشْرَفِ الْمُرْسَلِينَ.

= من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل مسجد جماعة فلا ترى فيه رجلاً خاشعاً.

أخرجه أبو عيسى الترمذي في كتاب العلم / باب ما جاء في ذهاب العلم
رقم (٢٦٥٣) والدارمي في المقدمة / باب من قال: العلم الخشية وتقوى
الله رقم (٢٩٤).

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
المقدمة	٣
الوصية لطالب العلم	٥
دعوة لفتح عواصم الجاهلية الثانية	٨
الوصاية بتقوى الله وحسن الخلق	٩
بعض صفات المتقين	١٠
ترجمة شيخ الإسلام	١٣
سؤل أبي القاسم المغربي	٢٥
أنفع وأجمع وصية وصى الله بها عباده	٢٥
وصية رسول الله - ﷺ - لمعاذ ومكانته عنده	٢٦
جماع هذه الوصية في أداء حق الله وحق العباد	٣٠
الذنوب يزول موجبها بأشياء	٣١
الكفارات المقدرة	٣٢
الكفارات المطلقة	٣٥
شبه هذه الأمة باليهود والنصارى	٣٧
المصائب المكفرة تزيل موجب الذنوب	٤٠
جماع الخلق الحسن	٤١
تعريف جامع لمعنى التقوى	٤٢
أفضل الأعمال بعد الفرائض	٤٤
الاذكار المقيدة	٤٧
الاستخارة مشروعة فيما اشتبه أمره على العبد	٥١
أرجح المكاسب	٥٣
جماع الخير في تلقي العلم	٥٧
الفهرس	٦٣

كتب للمحقق

- | | | |
|----------------|--------------------------|------------------------------|
| نشر دار القاسم | لابن رجب المنبلي | ١ . كتاب التوحيد |
| نشر دار القاسم | للإمام أحمد بن حنبل | ٢ . الصلاة |
| دار السلام | ابن القيم الجوزية | ٣ . صوم النبي - ﷺ - |
| دار الحميضي | ابن رجب المنبلي | ٤ . غايية النفع |
| دار الحميضي | لتبليغ الإسلام ابن تيمية | ٥ . الوصية الصغرى |
| دار الوطن | | ٦ . وقفات مع الأسرة |
| دار السلام | | ٧ . تذكير ذوي القلوب |
| دار الحميضي | | ٨ . المؤمن بين البلاء والصبر |
| دار المسلم | | ٩ . أيهما آمن! |
| دار الفاروق | | ١٠ . الصراع مع الشيطان |
| دار الفاروق | | ١١ . الجريمة الأولى |
| دار الفاروق | | ١٢ . الطاغوت الأكبر |

قصص للأطفال

- | | |
|---------------------|---------------------------------|
| دار القاسم | ١٣ . جزاء من لم يسمع كلام أبويه |
| دار المعراج الدولية | ١٤ . الأدب مع الله عز وجل |
| دار المعراج الدولية | ١٥ . الأدب مع رسول الله - ﷺ - |
| دار ابن الجوزي | ١٦ . الجماعة رحمة والفرقة عذاب |
| دار ابن الجوزي | ١٧ . كما تدين تدان |